روايات عبير

لعبة القدر

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

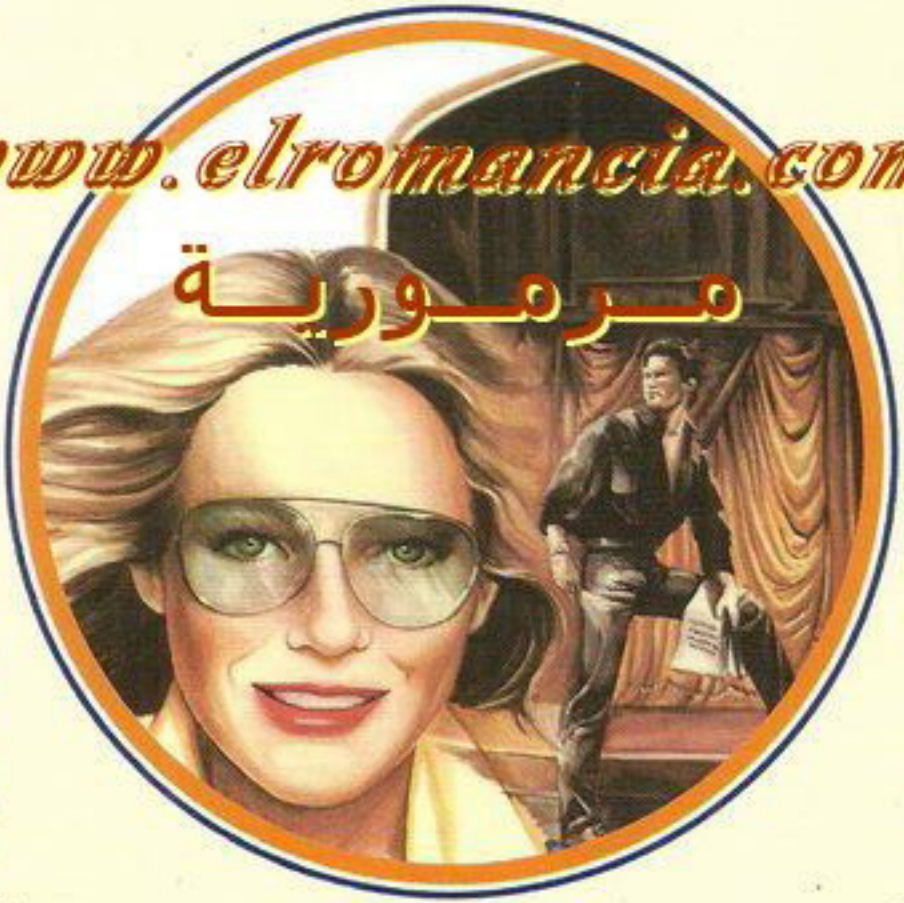

Linda FLORES

N° 614

روايات عبير

هكذا وقفت مخاوف "لوري" حائلا - لفترة طويلة - ضد تقبل مشاعر "جارید" نحوها.

كما كان أيضا العامل المشترك بين "جريج" و"جارید": ألا وهو حب التسلط، دافعا قويا إلى عزوف "لوري" عن تقبل الارتباط مرة أخرى بعد فشل زيجتها الأولى... إذ كانت قد عزمت على الاعتماد على نفسها، والسعي إلى تحقيق استقلالها.

كذلك لم يقف قوامها الضئيل ورفضها المستمر لـ"جارید" حائلا أمام إصرار هذا الأخير على معرفتها جيدا، وجذبها إليه بحب وفي غير تسلط فكانت النهاية السعيدة.

ISBN 9953-424-90-X

9 789953 424903

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

شخصيات الرواية

- "لوري كراوفورد": فتاة تعمل في مهمة البحث عن الشاردين والهاربين مع كلبها "كابي".
- "سوزي": طفلة مفقودة.
- "بيكي": والدة الطفلة.
- "چاريد نورث": أخو "بيكي"، وخال الطفلة.
- "جراس": سكرتيرة "چاريد".
- "توم": زوج أخت "چاريد".
- الشريف "روچبه أولسين": أحد أفراد فرقة البحث عن الشاردين.

www.elmaktabeh.com مكتبة

المقدمة

لماذا نزحت "لوري" إلى مدينة "نورتون" الصغيرة؟ لماذا رجع "جاريد" عن القرار الذي كان قد اتخذه بعد وفاة زوجته التي كان يحبها إلى حد بعيد؟

ولماذا عزم أيضا على التخلي عن ميله الطبيعي للحماية والتسلط؟

هذا ما ستجد الإجابة عليه- عزيزي القارئ- خلال سطور هذه القصة العاطفية الشيقة التي لا تخلو من مواقف ظريفة: شقاوة "سوزي" ... وذكاء ووفاء الكلب "كابي" وغيرها.

اقرأ، واستمتع وأعطنا رأيك.

الفصل الأول

كانت سحب كثيفة تهدد هضبات هذه المنطقة: منطقة جنوب الـ"إيلينوا" كما أن الهواء كان مشبعا بالرطوبة. وفي حمى مخزن مُهَدم كانت بعض الحيوانات من فصيلة البقر تنظر في هدوء إلى فريق من البشر يشقون لأنفسهم طريقا وسط حقل ذرة بلغ من الارتفاع قدرا كافيا وهم يرددون نفس الصيحة:

- "سوزي"!

وكان هذا الاسم يتردد أيضا على لسان أشخاص آخرين يروحون ويعودون حول المزرعة. وأمام المبنى، وفي الفناء وقف رجلان يدرسان خريطة مفرودة على كَبوّد سيارة شرطة.

كان الشريف" روچيه أولسين" يشعر بأن العرق يلصق زيه البني على جسمه الطويل النحيف.

أما "جاريد نورث" الذي كان منحنيا بالقرب منه فكان أقصر منه لكنه ذو قوام مُكتمل ورياضي... كان هذا الأخير قد ألقى بسترة ردائه ذات اللون الرمادي الغامق، ورباط عنقه على سطح السيارة، وكان كُمّاه مطويين إلى أعلى من الكوع كاشفين عن ذراعين قويتين ذواتي عضلات بفضل ممارسة الألعاب الرياضية في الهواء الطلق.

كان أيضا يمر بيده في شعره الكثيف الأشقر من حين إلى آخر ويعَضّ بعصبية على طرف قلمه الحبر.

لم يكتشف أي منهما وصول سيارة جديدة خرجت منها فتاة يتبعها كلب.

قطب "جاريد" حاجبيه ثم قال معلقا:

- ترى هل تكون "سوزي" قد تعمقت إلى المستنقع البعيد في المراعي؟ أنا لم أجد آثار أقدام لكن ربما وجب أن نبحث من هنا... وكان قلبه ينقبض لمجرد فكرة أن ابنة أخته الصغيرة قد ابتلعتها المياه المائلة إلى الخضرة.

طمأنه الشريف بقوله:

- لا تفكّر في السوء. علينا الآن انتظار الكلب لعله يجد مدقّا أو أثرا

يهدينا إليها كما أن "لوري" لن تتأخر.

– أنا هنا مستعدة للبدء.

تسبب هذا الصوت النسائي الرقيق في تحويل "چاريد" عن فحص الخريطة. كانت تقف أمامه فتاة صغيرة تصل قامتها إلى كتفه.

كانت ترتدي حذاء لامعا بلون برتقالي صارخ– نفس لون الحقيبة التي كانت قد ألقتها على كتفها– وقميصا لونه بني فاتح، وبنطلون من التيل مشابها للقميص، وبوت أشبه بمقاسات الأطفال.

كادت تنقطع أنفاسها، وضعت يدها على فمها عندما رأت "چاريد". وركزت نظرها على عيني الرجل، لمست بخفة شعره الأشقر...

تساءل "چاريد" هل يمكن أن يتسبب ما فيه من جاذبية العينين الزرقاوين، والشعر الأشقر والكتفين العريضتين في زيادة الإعجاب الذي كان ينبغي أن يدهش بدرجة أكبر ؟

وعندما تكلم "روچيه" عن فتاة معها كلب مدرب لاكتشاف الأشخاص الشاردين كان "چاريد" قد تخيل جسما قويا، قادرا على الإمساك بالكلب بيده، وعلى السير لمسافات طويلة؛ حتى يكون عونا حقيقيا.

وها هو أمام مخلوقة لا تكبر ابنة أخته إلا بقليل، إنسانة ضئيلة، قد تكون تخطت العشرين من عمرها ولكن لا مظهر طفلة مع شعرها– الذي كان على هيئة ذيل حصان– المبتل إثر دش قد أخذته لتوها، ووجهها البريء الخالي من الماكياج. حتى صوتها كان يبدو طفوليا. كان واثقا من أن وزنها أقل من هذا الراعي الألماني الجالس في هدوء بجوارها، الممسوك بسير لونه برتقالي أيضا. حينئذ أردف "روچيه":

– شكرا على سرعة حضورك. أقدم لك "چاريد نورث": "لوري كراوفورد".

مدت "لوري" يدها الرقيقة وهي تسأل:

– هل أنت والد الفتاة؟

– لا. أنا خالها.

أمسك بيد الفتاة ودهش عندما وجد أن قبضة يدها قوية.

قال الشريف موضحا:

– إن "توم" – وهو زوج أخت "چاريد" – على سفر ولم نتمكن من اللحاق به، زوجته– وهي أخت "چاريد" – في المنزل. لقد وضعت وليدا منذ أيام قليلة وها هي تقابل هذا الحدث بكل هدوء.

ثم مال لكي يقبل رأس الكلب واستطرد متوجها إلى "چاريد":

– هو "كابيتين" الشهير بـ"كابي".

هز الحيوان ذيله، ثم مال الكلب على "روچيه" لكي يحك له عنقه، تطلع "چاريد" إلى المشهد ثم عاد إلى الفتاة.

ومع أن شعرها وعينيها كانا بلون كستنائي إلا أنها كانت تذكره دائما بابنة أخته الشقراء ذات العينين الزرقاوين.

هي "لوري كراوفورد" كانت جميلة، جذابة أيضا لكن فجاة التفت– بدون دفاع– إلى الشريف وأعلن:

– أريد أن أقول لك كلمتين على انفراد يا "روچيه".

وقبل أن يبدي هذا الأخير أي رد فعل كان قد اقتاده بعيدا؛ حتى لا تستطيع "لوري" سماعهما.

– أنا لست موافقا.

ساله "روچيه" دهشا:

– علام؟

– على الاستعانة بخدمات هذه الإنسانة. انظر إليها. إنها ليست سوى طفلة.

تطلع إليها الشريف. في الواقع "چاريد" عمل بالمثل أما "لوري" فقد مكثت حيث كانا قد تركاها، وكلبها إلى جوارها.

ابتسمت إليهما ابتسامة رقيقة. قام "روچيه" بالإجابة عليها بمثلها، ثم "چاريد". كان لابد لصديقه أن يكون على علم بما يشغل باله ويربكه.

وقبل أن يجد الوقت الكافي لكي يوضح له الأسباب التي يستند إليها كان باب المنزل قد فتح. ظهرت سيدة وصاحت:

– شريف! تليفون!

مط "روچيه" شفتيه وانتقل بنظره من "چاريد" إلى الفتاة ثم إلى التي

تناديه، وأخيرا قرر:

– وجب أن أتلقى هذه المكالمة، وسنتكلم في هذا الموضوع فيما بعد.

لم يكن "جاريد" راغبا في الانتظار؛ الوقت ثمين جدا لكن الشريف كان قد ابتعد بخطى واسعة.

– هل من مشكلة يا سيد "نورث"؟

دهش "جاريد" من السهولة التي تعرف بها على صوت "لوري"، وأيضا من الطريقة الصامتة التي اقتربت بها مع كلبها.

ربما كان من الأفضل أن يتفاهم معها، وأن يوضح لها قلقه.

– إن عاصفة ضخمة تقترب، ثم تأكيدا لذلك أشارت برأسها وعيناها تتطلعان إلى السماء التي كانت تتعتم أكثر فأكثر ملبدة بالغيوم.

استطرد "جاريد":

– لقد قيل لي: إنها ستكون صعبة.

لم تفهم شيئا. ولم يكن أكثر من أنه هو نفسه كان لا يفهم لماذا هو قلق من أجل إنسانة مجهولة بالنسبة له.

– لا أعتقد أنه من التعقل أن تسعي بحثا عن ابنة أختي في مثل هذه الظروف. بالإضافة إلى الصاعقة، إن الريح سوف تهب بسرعة مائة كيلومتر في الساعة.

– صدق أو لا تصدق. أنا لا أخشى العاصفة.

مرة أخرى كان يقدر مقاس المخلوقة الضئيلة. ولما تلاقت نظراتهما مطت شفتيها وأعلنت:

– إن ما قلته لك حقيقة. لا تخش شيئا.

– إنهم يعلنون أن الثلج سيتساقط مثل حبات في حجم بيض الحمام. إن سعيك هذا سوف يعرضك للخطر.

– لقد قمت باستعدادات لكي أواجه كل هذه المواقف حتى في الطقس الرديء، لقد اضطررنا– كلبي وأنا– إلى الخضوع لتدريب مكثف، والفوز بسلسلة اختبارات.

لاطفت رأس محدثها ثم استطردت:

– سنعرف تماما كيف نتصرف حتى إذا كانت العاصفة هوجاء.

ربما– هكذا فكر "جاريد" – لكن مع مثل هذه الليلة، إن جبال منطقة "شاوني" ليست مكانا لنزهة أو تجول فتاة بمثل هذه الضآلة. لمس ذراعها دون أن يعرف لماذا. ربما لكي يتأكد من عدم صلابتها أو ربما لأنه– منذ أن أعطته يدها– كان يرغب في العثور على حرارتها.

تضايق عندما وجدها جذابة؛ لأنه في الواقع لا داعي للاسترسال في مثل هذه الأفكار حاليا. إن "سوزي" مفقودة وهذا هو المهم، وليست عيناها بالتأكيد عيني "لوري كراوفورد" العسليتين ولا شفتيها الجميلتين.

سمع من بعيد صوت الرعد. انتفض "جاريد" وقد اعتراه الخجل لأنه كاد يفقد الأمل في إنقاذ ابنة أخته.

أردف:

– وجب ألا نضيع الوقت. هيا بنا نبحث عنها.

قالت "لوري":

– اتفقنا.

ثم متجها بنظرة نحو المنزل:

– أرجو ألا يتأخر الشريف.

– اسمعي... لماذا لا تبقين أنت هنا مع أختي... و"روجيه" وأنا سنأخذ معنا الكلب.. فما كان من الفتاة إلا أنها قهقهت:

– تأخذ الـ"كابيتين"؟ لكن يا سيد "نورث" ماذا تعرف عن تكنولوجيا البحث؟ هل تعلم طريقة اتباع كلب؟

وكان– بديهيا– لا يعرف عن ذلك شيئا. ليست له أدنى فكرة.

– يعني...

وضعت يدها على مقدمة ذراعه تماما فوق المعصم:

– يعني لا شيء. أشكر اهتمامك بي من أجل أمني، أرجوك لا تقلق من أجلي، وكل الأمور ستسير على أحسن حال.

– وكيف ستتصرفين مع كلبك؟

– "كابي" يعمل بدون سلسلة أو سير. إنه يتبع مدفا وعندما يجد شيئا يعود لكي يأخذني معه.

أبعدت يدها بعد ذلك. وكان "جاريد" شعر في الحال أنه افتقر إلى هذه

اللمسة. استمرت الفتاة في النظر إلى أعماق عينيه وكان "چاريد" يرى في نظراتها تعبيرا من الممكن وصفه بأنه استجواب أو اهتمام وفي لحظة أخرى وفي نفس المكان كان هو: نفسه قد أبدى اهتماما. لكن في هذه اللحظة كل ما يشغله هو أمر "سوزي".

ألقى بنظرة نحو الحقول و"لوري" لم تغفل عن هذه الحركة.

– هل عندك فكرة عن الاتجاه الذي سلكته ابنة أختك؟

– لا.

– هل تم مسح الغابات؟

إنه نفس السؤال الذي كان قد وجهه إليه "روچيه".

أجاب بنفس الإجابة:

– لا. إني متأكد أنها لن تذهب إلى هناك.

– لماذا؟

– لأنهم دائما ما يحذرونها من ذلك.

مرة أخرى ضحكت "لوري". لم يفهم "چاريد" أن مزرعة زوج أخته وأخته كانت بالقرب من الغابة. فكانا دائما يكرران إلى الصغيرة أن هذا المكان ليس للعب. وما كان يزعجه أكثر هو المستنقع؛ "سوزي" كانت تعشق السباحة.

أخيرا خرج الشريف من المنزل مقدما اعتذاره:

– وقعت حادثة على الطريق لكنها ليست خطيرة. غير أني لم أتصرف إلا بعد أن تأكدت أن كل ما يلزم قد تم. إنه دائما نفس الحال... إذ تمر أسابيع دون حدوث حادثة أقل وفجاة يحدث كل ما هو مزعج في آن واحد. حقا إن المتاعب لا تأتي فرادى.

فجاة ختم كلامه صوت رعد شديد.

أردف "روچيه":

– بالمناسبة. ما هي المشكلة التي كنت ترغب في التحدث معي بخصوصها؟

– إني لا أعتقد أن الآنسة "كراوفورد" تستطيع الإسهام في عملية البحث عن الفتاة، إنها– وردت على ذهنه عبارات عديدة كان يستطيع أن

يصف بها "لوري" ويعبر بها أيضا عن قلقه– رقيقة جدا، هزيلة جدا، صغيرة جدا، جميلة جدا، قابلة لأن تجرح بسهولة.

بالتأكيد لو كان الأمر متوقفا على الشجاعة وحدها فما كانت هناك مشكلة لكنه كان قد تعلم من "چان" – زوجته السابقة– أن الشجاعة والإرادة لا تساويان شيئا عندما تكون المسألة مسألة حياة أو موت.

ثم ختم كلامه:

– صغيرة جدا.

قاطعته "لوري":

– لا شان لقوامي في مثلهذه الأمور.

ضمت الفتاة شفتيها. نظرت نظرة سوداوية إلى "چاريد". ثم واجهت "روچيه" وهي تهز "ذيل حصانها" الذي هو شعرها:

– أتتمنى أن يقوم كلبي بمساعدتك؟ نعم أم لا؟

سأله الشريف:

– "چاريد" ما الذي يحدث؟ هل عزمت جيدا على البحث عن ابنة أختك؟

– بالتأكيد.

– إني متفق مع "لوري" في الرأي. إن قوامها لا يدخل في الاعتبار مع العملية.

ثم قال وهو متوجه إلى الفتاة:

– سأشرح لك ما قد حدث.

بالتالي لم تعد أمام "چاريد" فرصة للاعتراض. لقد أخذ القرار وأمام الحركة التي قامت بها الفتاة تعبيرا عن الاستخفاف فهم أن الجهود التي بذلها لحمايتها لم تفلح إلا في إساءة الحكم على تفكيره.

كان يصغي ساهما إلى ما كان "روچيه" يسرد على الفتاة الباسلة، المقدامة. كانت أخته في الفناء مع الصغيرة عندما اجتذبها إلى الداخل صراخ المولود... خرجت ثانية بعد أن بدلت ملابس الطفل الرضيع... وإذا بـ"سوزي" غير موجودة. كم نادتها "بيكي" وكم بحثت عنها في كل الأركان التي من الممكن أن تختبئ فيها. ولما يئست اتصلت بأخيها فما

كان من "جاريد" إلا أنه ترك مكتبه بأسرع ما يمكن.

كان "جاريد" طوال الرحلة- من المدينة إلى المزرعة- يتصور أن ابنة أخته أرادت أن تقلق أمها باختبائها دون أن تجيب على ندائها. أما "بيكي" فقد أفصحت إلى أخيها بأن الصغيرة كانت تعاني بعض الغيرة بسبب ما كانت أمها تقدمه إلى أخيها الأصغر من عناية. كان يتوقع حينئذ أنها عندما ستسمع صوته ستخرج حالا من مخبئها. إن الطفلة كانت تحبه وتسرع إليه كلما سمعت صوته عندما يحضر عندهم... لكن ليس اليوم.

ثم خلال ساعة كان قد تفحص كل أركان المنطقة وذهبت محاولاته عبثا؛ فقرر طلب معونة "روجيه" الذي أتى على الفور مستعينا أيضا بجيران وأصدقاء أخته "بيكي" لمواصلة البحث.

قال الشريف:

- ها قد مرت الآن ثلاث ساعات والصغيرة مختفية.

أردفت "لوري":

- هل فكرتم في إمكان عملية خطف؟

وهنا أجاب "جاريد" على سؤالها:

- أولا: أنا لم أشا التفكير في ذلك. كما أن الجيران أكدوا لي أنهم لم يلاحظوا شيئا غير طبيعي اليوم، مثل شخص غريب غير معروف لديهم أو سيارة مجهولة. ومع هذا أجد أنها نظرية من الممكن وضعها في الاعتبار.

ومع ذلك كان متأكدا من أن "سوزي" ليست مخطوفة من أجل المال. حقا إن المزرعة نامية غير أن "توم" و"بيكي" ليسا غنيين.

وقد يكون هو المقصود. إن "نورتون" ليست بالمدينة الكبيرة لكن المشروع الذي كان يديره كان شهيرا بجودة منتجاته، وكانت المجلة الاقتصادية قد أشارت منذ مدة قصيرة إلى انطلاق الشركة منذ أن تقاعد "جورج نورث" مُسلّما قيادة الأعمال إلى ابنه "جاريد"، وكان المقال يذكر أيضا "بيكي" و"توم" وكذا "سوزي"، ومن المحتمل أن يكون أحد المغرضين قد قرأ هذا المقال ورأى أن انتزاع ابنة أخت "جاريد" قد تكون وسيلة سهلة للحصول على قدر من المال.

سألت "لوري":

- ما عمر الصغيرة؟

أجاب "جاريد":

- خمس سنوات. أتمتها في السادس من شهر يونيو (حزيران).

- وماذا كانت ترتدي وقت اختفائها؟

أعطاها "روجيه" ما كان قد تلقى من معلومات من أمها.

وكان الجيران يواصلون البحث فكانوا هم أيضا يعملون شيئا على الأقل.

لم يعان مثل هذا الإحساس منذ موت زوجته، ذلك الإحساس بالعزلة.

استمرت "لوري" في توجيه أسئلة عن "سوزي"، وكان ممثل القانون يجيب على تلك الأسئلة بناء على المعلومات التي كان قد حصل عليها منذ بداية قيامه بعملية البحث والتحقيق، وكان "جاريد" يعتبر ذلك مضيعة للوقت فانفجر أخيرا:

- اسمعي يا آنسة "كراوفورد" إنك تعلمين جيدا أني كنت معارضا- في البداية- في إسهامك في عملية البحث عن الصغيرة لكن إذا كان ينبغي الاعتماد على كلبك فلماذا نخسر كل هذا الوقت؟! لنبدأ من الآن.

قالت الفتاة معترضة:

- اعلم يا سيد "نورث" أن هذه الدقائق المخصصة للاستعلام كفيلة بلا شك بإنقاذ حياة ابنة أختك.

أردف "جاريد":

- وسنضطر إلى الامتناع بسبب الظلام.

رفعت "لوري" عينيها نحو السماء الملبدة بالغيوم. نظرت إلى ساعتها ثم- معطية ظهرها إلى هذا الرجل سريع الغضب- قالت للشريف:

- هل في إمكانك منحي أي شيء يستطيع "كابي" شم رائحة الفتاة منه؟

- لقد أعطتني والدتها فانيللا كانت تضعها اليوم في الصباح الباكر عندما كان الطقس رطبا.

وبعد أن أنهى كلامه اتجه نحو الشرفة حيث كان ملبس الصغيرة معلقا.

صاحت "لوري":

- انتظر لا تلمسه!

توقف "روجيه" على الفور. أنزلت الفتاة حقيبتها ذات اللون البرتقالي فتحتها وأخرجت منها كيسا من البلاستيك.

ثم مشيرة إليه قالت:

– ضعه داخل هذا الكيس، كما أنه يجب خاصة ألا يفرك.

قام الشريف بوضعه في الحال في الكيس و"لوري" بدورها وضعته أمام أنف كلبها... في هذه اللحظة بدت "بيكي" على عتبة باب المنزل ونادت:

– ماذا يحدث يا "جاريد"؟

كان واضحا على مظهر هذه الأم الشابة أنها قد وضعت وليدها الذي كانت تحمله بين ذراعيها منذ فترة قريبة. كانت تبدو متعبة وكانت عيناها حمراوين... وكان "جاريد" أحيانا يحسد النساء على قدرتهن على البكاء ليس لأنه لم يبك أبدا إنما فقط كان يقوم بذلك بعيدا عن الأنظار.

تقدم نحو الشرفة قائلا:

– إن الكلب مستمر في شم تريكو "سوزي". كيف حالك الآن؟

– حسنا... "ميلدريد" عاوني على تبديل ملابس "تود"، و"إبريني" تعد القهوة. هل من جديد؟

– ليس بعد لكننا سنعثر عليها حالا.

أحاط "جاريد" أخته بذراعه وقبلها بحنان على وجنتيها. كانت قرابتهما تبدو واضحة لمن يراهما الواحد بالقرب من الآخر. إن "بيكي" كانت رائعة الجمال، وكان لهما نفس لون الشعر والعينين: الأشقر، والأزرق.

كرر:

– سنعثر عليها.

كان يعمل بتكراره هذا على إقناع نفسه هو ذاته؛ إذ كان لا يستطيع تخيل أن يكون قد لحق بابنة أخته أي خطر؛ لأنها كانت رويدا رويدا قد أصبحت الابنة التي كان يتمناها هو و"جوان".

وقفت "بيكي" تنظر إلى الكلب الألماني وسيدته ثم تنهدت قائلة:

– إنها ضئيلة جدا.

دمدم "جاريد":

– أرى ذلك.

نادتها:

– يا آنستي أتعتقدين حقا أنك ستعثرين على صغيرتي "سوزي" بمعاونة كلبك؟

أعادت "لوري" غلق حقيبتها وأمرت "كابيتين" بالا يتحرك.

– سبق ووجدنا العديد من الأطفال المفقودين يا سيدتي.

ثم تقدمت ببضع خطوات نحو "بيكي" وقدمت نفسها:

– "لوري كراوفورد". شريكة في مكان حفظ كلاب الصيد التي تخص "لارو"... أين رأيت ابنتك في آخر مرة؟

– هناك بالقرب من الأرجوحة. كانت الساعة وقتئذ حوالي الرابعة والنصف، وكان موعد رضعة الوليد وبعد ذلك كانت "سوزي" قد وعدتني بمساعدتها في إعداد العشاء. ظننت أنها ستستمر في التسلية. لم يخطر على بالي أبدا...

انهمرت الدموع من عينيها ومنعتها من التعبير عما كان يجول بخاطرها. مرة أخرى ضمها "جاريد" إليه وقبلها. لم يسبق له معرفة التعامل مع امرأة باكية سواء كانت والدته أو أخته، أو زوجته. كان يشعر أنه غير مدرب البتة، ومع ذلك كان عليه أن يثبت قوته؛ لأن "بيكي" و"سوزي" مسؤولتان منه وكان ينبغي أن تستريح "بيكي" قليلا.

– ادخلي يا "بيكي" استرخي. سنطلق الكلب وسوف أخطرك عندما نعثر عليها.

التفت حينئذ الشريف إلى "لوري":

– هل أنت مستعدة؟

– نعم. هل تأتي معي؟

أشار "روجيه" بالنفي، وأردف:

– ينبغي أن أنتظر حراس الغابات الذين قمت بتبليغهم بالأمر وسيرافقك أحد زملائي، ولما كان زميلا الشريف اللذان كان قد اصطحبهما معه منهمكين في مسح السهل مع الفريق تقدم "جاريد" قائلا:

– لا فائدة من ذلك يا "روجيه" سأذهب أنا معها.

قالت "بيكي" مؤيدة:

– حسنا جدا.

اعترضت "لوري":

– إننا لا نرافق أبدا أحد أفراد الأسرة؛ لأن من المحتمل أن تعمل رائحتكم على ارتباك كلبي.

– لكن لماذا؟ إني لا أخالط "سوزي" ولا أقترب منها.

وها هو الآن يلوم نفسه على عدم قضاء وقت أطول معها.

وافقت "لوري":

– حسنا. من الممكن– في وضعك هذا– ألا يضل "كابي" الطريق، ومع ذلك أنا لا أسمح باصطحاب شخص من الممكن أن يصبح ضحية التأثر ويتركني.

اعترض "جاريد":

– وهل لي مظهر مثل هذه الشخصية؟

– في الحقيقة إني في احتياج إلى معين على دراية بأمور الإنقاذ.

– لقد تابعت فصول الصليب الأحمر، المرحلة الأولى للإسعافات الأولية.

لم تتأثر الفتاة بقوله واستطردت:

– يلزم الاستجابة إلى الأوامر: استعمال الراديو، قراءة كارت. إمكان معاونتي في العثور على أقل أثر لابنة أختك.

– إني كفيل بكل هذا.

وقفت "لوري" تتفحص هندامه من القدمين إلى هامة الرأس.

وكانت بالتأكيد بدلته وكذلك حذاؤه في مظهر يليق بمكتبه، وعندما طلبته "بيكي" لم يفكر في الذهاب إلى المنزل لكي يبدل ملابسه، على كل إن كل ما كان يهمه هو العثور على "سوزي".

– سأتصرف.

مرة أخرى تلاقت نظراتهما. كان يعلم أنها لا ترغب في صحبته إذ كانت إجابتها دليلا على ذلك:

– في الحقيقة لا. أفضل الذهاب بمفردي...

لم تكن لـ"جاريد" نية الرفض. نزل الدرجات الثلاث التي كانت تفصله عن "لوري" واقترب منها ثم– والعين في العين– أعلن:

– إننا نضيع وقتا كثيرا، سأذهب معك. نقطة واحدة ليس إلا. إلى الطريق.

– أنا لا أرغب في مناقشتك. لن تأتي معي.

– إنك لا تتوقفين عن المناقشة، لقد اقترب الليل.

تدخل "روجيه":

– اصطحبيه يا "لوري". إني أعرفه جيدا. قد يبدو عنيدا أحيانا لكنه لن يضايقك. كان واضحا أن "لوري" متضايقة. ومع ذلك خضعت لأفكار الشريف وتوجهت إلى "جاريد" قائلة:

– لابد من تنفيذ تعليماتي بالضبط، وعدم إعاقة عملي أو عمل كلبي.

من المعروف أن "جاريد" كان يدير شركة مهمة، وكان يعلم كيف يسيطر على الأمور. قال:

– لا تشكي في ذلك.

– حسنا. الآن سأعطي أمرا إلى "كابي" بشم رائحة ملبس الصغيرة ثم الانطلاق على الطريق.

فما كان من الحيوان الذي كان معتادا على تفهم الأمور الجادة إلا أن اختفى في الحال.

ثم مشيرا إلى الراديو المتدلي من حزامه أردف:

– سأطلبك فور وصول حرس الغابات.

استطرد "جاريد":

– سنكون على اتصال دائم.

حك الشريف رأسه ونظر "جاريد" إلى "لوري"... وبالرغم من جفاف "لوري" وصمودها واستعدادها للهجوم تساءل كيف أنه وجدها جذابة.

الفصل الثاني

عندما وصلت "لوري" إلى الأرجوحة توقفت، فتحت الكيس البلاستيك ووضعته تحت أنف الكلب الالماني، ثم حلته.

أصدر الكلب أنينا، دار حول نفسه، ثم انطلق جريا في أركان الفناء الأربعة، وكان في كل مرة يعود ثانية إلى نقطة الانطلاق.

فجأة- وكانت عضلاته كلها قد بدت مشدودة- قفز متجها إلى الحقول. لم تتدخل مدربته طوال هذه الفترة لا بالصوت ولا بالإشارة.

فوجئ "جاريد" بهذا المنظر، كانوا قد مسحوا كل الحقول المحيطة دون العثور على أي أثر لـ"سوزي". من جانب آخر، كان من الصعب توقع أن صغيرة في الخامسة من عمرها تتجه- دون أن تضعف أو تخاف- نحو الهضبات التي كانت الغابة المحظورة تقع خلفها وكذا الصخور المغرية.

اتخذ الكلب هذا الاتجاه.

حيت "لوري" الشريف ولما ألقت نظرة إلى "جاريد" قبل أن تنطلق خلف "كابيتين"؛ شعر بأنها لا ترغب في اتباعه لها.

لم يتحرك خلال بعض الثواني، متوقعا عودة الحيوان وذيله منخفض.

كانت "لوري" قد تسلقت جزءا ليس بالقليل من الهضبة قبل أن تتحقق من أن الكلب لم يعد إنما كان يقتاد سيدته نحو الغابات.

تمتم:

- يا إلهي!

أما أخته فكانت تثبت نظرها على قمة الهضبة حيث اختفى "كابي" والدموع تنهمر من عينيها.

قال "روجيه" معلقا:

- يبدو تماما أن "سوزي" ذهبت إلى المكان المحظور، أتعشم ألا يتأخر الحراس.

- يصعب علي تصديق ذلك. بعد كل التحذيرات التي كنا- والداها وأنا- نوجهها إليها.

- الأطفال لهم عادة أفكار عجيبة.

وصلت "لوري" في هذه اللحظة إلى قمة الهضبة. التفتت لكي ترى المزرعة ثم- بخطى ثابتة- واصلت طريقها.

أردف الشريف:

- إنها لن تنتظرك، إذا كنت تنوي الذهاب إلى هناك يا "جاريد" فنفذ في الحال.

- مازلت غير مصدق أن "سوزي" يمكنها الذهاب إلى هناك، لكنك على حق، سأذهب إلى هذا المكان. ثم- خافضا صوته حتى لا يسمعه إلا "روجيه"- أضاف:

- تأكد من أن يبقى أحد مع "بيكي"، أنا لا أريد أن تمكث بمفردها وإلا فإنها قادرة على الانطلاق بحثا عن ابنتها وولديها على ذراعيها.

- اطمئن. سأخبر "ميلدريد" ألا تتركها لحظة واحدة.

سار "جاريد" بخطى ضيقة، وكان الغسق قد بدأ يدخل لكن الحرارة كانت دائما قوية أيضا، ثم بعد بضع ثوان كان "جاريد" يسبح متسائلا أي متعة يجدها الناس في ذلك، فلتحيا السباحة!

كان قد بدأ السباحة عندما كان الطبيب قد وصف ذلك إلى "جوان" و... بعد أن رحلت استمر هو في التدريب كل صباح.

كانت هذه الرياضة فرصة رائعة للاسترخاء كما أنها كانت تساعد على صفاء الذهن. بالإضافة إلى مزايا عديدة، وعندما أشرف على أربعيناته لم يكن لديه ذرة من الدهون وكان جسمه المكتمل والرياضي يعمل مثل ماكينة حديثة التزييت، ومع ذلك عندما لحق بـ"لوري" سُرَّ بأن يهدئ السرعة.

هزه مزيد من السعال قليلا فهنأ نفسه على كونه قد كف عن التدخين.

لم تتوقف "لوري" لحظة واحدة غير أن قشعريرة فقط في ظهرها قد بينت لها أنه سمعها. اعتقد أنه بينما كان كلبها يعمل كانت لا تحتمل أقل ضجة أو صوتا ضعيفا غير أنه لم يتردد في توجيه سؤال- طالما أزعجه- إليها:

- كيف تثقين بأن كلبك يقتفي أثر خطوات ابنة أختي وليس خطوات شخص آخر؟ أو حتى أي شيء آخر؟

التفتت نحوه فجأة جامدة الملامح وكان شعاع قد وضح في عينيها كاشفا عن سخطها.

– كيف يا سيد "نورث"؟ ببساطة؛ لأني أتدرب كل يوم مع "كابي"..
إني أعلم أنه عندما قدمت إليه رائحة فهي وحدها التي سيتبعها إلى أن يجد ما قد عين له.

كان "جاريد" بصفته مديرا عاما لشركة كبيرة معتادا على الرغبة في إجابات مفصلة متعمقة فلم يعتبر نفسه مهزوما.

فاستطرد:

– لقد مرت ساعات عديدة منذ أن اختفت "سوزي". أليس كذلك؟

– بتاتا. إذا كانت الظروف جيدة فسوف يستطيع "كابي" اتباع مدق قديم يرجع إلى ثمان وأربعين ساعة.

– وما هي الظروف الآن في هذه اللحظة بالتحديد؟

– ارتفاع الرطوبة وانعدام الرياح تعتبر عناصر نافعة لكن ارتفاع الحرارة هنا يعتبر شيئا مزعجا.

ثم انتقلت من النبرة الموضوعية إلى نبرة تبعث الطمأنينة:

– سوف نجدها.

– الحرارة مزعجة و...

– وهي لا تتعدى كونها طفلة ورائحة الأطفال ليست قوية لكن صدقني. أرى من مشية "كابي" أنه على طريق ابنة أختك.

كم كانت دهشته أمام الابتسامة غير المتوقعة التي أظهرتها له والتي قد سحرته. هل يضع ثقته بها؟ لم يكن مخيرا.

لم يتمكن أيضا من الامتناع عن توجيه سؤال بعيد كل البعد عن موضوع ابنة أخته:

– ما عمرك؟

– تسع وعشرون سنة.

وإذ فوجيء هز حاجبيه، لم يكن فارق السن كبيرا بينهما، كان يعتقد أنها لا تتعدى العشرين من عمرها أو على الأكثر الثانية والعشرين.

– لا يبدو عليك.

– شكرا وأنت؟

– ثمانية وثلاثون عاما.

– وأنت أيضا تبدو أصغر مما أنت عليه.

بعد ذلك عمل "جاريد" على تغيير مجرى الحديث:

– هل تعملين دائما بمفردك؟ أقصد مع كلبك فقط؟

– ليس من المعتاد، لكن أحيانا مثل اليوم يحدث أن نتلقى مكالمة فنكون الفريق الوحيد المستعد للعمل وقتئذ. بصراحة كنت أتمنى أن يكون عددنا كبيرا في المنطقة كما أنه– إذا ربحت اليانصيب– أتمنى تكريس نفسي لإنشاء فرق إنقاذ.

هز "جاريد" رأسه:

– لم يكن هذا قصدي فيما أقول... إنما أقصد أنه عندما يستدعونك تكونين بمفردك مع كلبك؟ أنا... أنا أرغب في القول... إنك رقيقة جدا، ألا ينبغي أن تكوني دائما...

صاحت الفتاة قبل أن تترك له فرصة إتمام كلماته:

– هل كل الرجال الشقر ذوي العيون الزرقاء سخفاء أم أنه يوم الحظ بالنسبة لي؟ اسمعني جيدا. إن أفكارك ليست ذات أهمية، أنا لست فتاة صغيرة ولست محتاجة إلى من يمسك بيدي. إني بالغة سن الرشد؛ وبالتالي قادرة تماما على التصرف بمفردي.

وجهت إليه نظرات تحد للحظة ثم –في ثبات– أعطته ظهرها وعاودت مسيرتها مع كلبها.

شعر "جاريد" أنه أخطأ ومن البديهي بما أنه اضطر إلى السهر على أخته طوال سنوات، ثم على زوجته فلم يفكر أبدا في أن الاهتمام براحة سيدة يعتبر علامة على الخطأ.

– لم أشأ أن أقول لك: إنك لست مؤهلة لهذا العمل، كل ما أقصده أن بقاءك بمفردك في هذه الغابة يعتبر تهورا... ولاحتى لي... مع ذلك.. و...

ثم فضل ترك محاولة الدخول في التفاصيل وشرح مقاصده. لم تلق إليه بالا، بل اكتفت بحك رأسها.

في المعتاد– وهو أمر طبيعي– أنه عندما أتواجد على الطريق يصطحبني أحد شركاء الـ"شريف" لأسباب ترجع إلى المسؤولية والأمن وبصفة عامة فإن "روث" شريكتي كانت تساعدني فيما سبق، لكنها تزوجت ووجب

علي الآن إيجاد متطوعين لكي يقوموا بدور المقتفين.

شعر "جاريد" بمعدته تتقلص فلم يمتنع عن إبداء هذه الملاحظة:

– أتمنى ألا يتعدى الموقف اليوم عن أن يكون لعبة.

نظرت إليه "لوري" خلسة وعندما تكلمت كانت كلماتها بلهجة أكثر عذوبة:

– اعلم تماما يا سيد "نورث" أن هذا الأمر ليس سهلا بالنسبة لك. كان ينبغي حقا أن تتراجع عنه.

أجاب "جاريد":

– لا جدال في ذلك.

– إذن إننا اثنان.

– ما معنى ذلك؟

– لا شيء.

لبضع دقائق ساد السكون بينهما لا يقطعه سوى زقزقة العصافير التي كانت تعود إلى الأغصان التي تقضي فوقها الليل. كان "جاريد" يراقب الكلب الذي كان رافعا رأسه يبدو وكأنه يشم الهواء، كما أنه كان يتوقف أحيانا ثم يدور على عقبيه ويعاود مسيرته.

– كيف يحدث أن كلبك لا يقرب أنفه من الأرض؟

– إن "كابي" يعمل على شم الأرض والهواء في آن واحد، إن ابنة أختك لم تترك آثار أقدام على الأرض؛ لذلك تجده يعمل على تتبع رائحتها من الهواء والأشجار.

أخيرا أردف "جاريد" معترفا:

– أنا فعلا لا أعرف شيئا عن تصرفات مثل هذه الكلاب.

ابتسمت "لوري" ثم أردفت:

– كنت أشك في ذلك.

– إن عندي إحساسا أني لا أفهم في هذا الموضوع أكثر مما أفهم في أمر الأطفال؛ لأني كنت مقتنعا بأن "سوزي" لا يمكن أبدا أن تكون قد أتت إلى هنا.

– من المستحيل إدراك ما يدور بذهن الأطفال.

فجأة أوقفهما كليهما صوت رعد قوي فوجها أعينهما نحو جهة الجنوب الغربي.

كانت العاصفة تقترب وكانت السحب تتكاثر في الأفق والبرق يضيء المكان.

قبض "جاريد" على يديه وتلا صلاة صامتة إلى العلي القدير.

قالت "لوري":

– يبدو أن الرائحة غير واضحة بالنسبة لـ"كابي" وأنه يعاني بعض المتاعب بخصوصها. وجب أن نتفرق ابتعد عني بمسافة عشرة أمتار؛ بذلك قد نتمكن من مسح مساحة أكبر. سأذهب من هنا واذهب أنت من هناك.

ثم أشارت له إلى جهة اليسار وختمت كلامها قائلة:

– خذ الحذر من الزواحف وبالأكثر من الثعابين.

– وأنت أيضا.

كان أيضا مما يزيد من تعرض "سوزي" للخطر وجود زواحف سامة منتشرة في الغابة.

وكان "جاريد" أثناء سيره خافضا رأسه عند سماع أبسط علامة لهذه الظواهر الطبيعية المرعبة لا يفارقه التفكير في أن "لوري" إنسانة خارقة.

كان يراها من بعيد وهي تجفف عرقها بظهر يدها، وهي مستمرة في التقدم وتفحص الأرض. كان ينبغي أن يعترف بأنها تؤثر عليه. وإن كانت هذه الفتاة ضئيلة القوام إلا أنها كانت عبارة عن مزيج من الإرادة والطاقة.

بالإضافة إلى أنها كانت جميلة، كان شعرها بلون النحاس الأصفر بشرتها وردية مثل الخوخ، أنفها دقيق وفمها مُغْرٍ. على كل حال كان عاجزا عن تخيل كيف أن فتاة في مثل رقتها تقوم بهذا العمل الشاق.

كان شعرها المضموم على هيئة ذيل حصان يهتز لكل خطوة تخطوها، فكان يُذكّر "جاريد" بشيء كان يتمنى الحصول عليه عندما كان صبيا غير أن والده رفض تلبية تلك الرغبة وقتئذ؛ إذ إنه كان يرى أن الحيوان لا يمثل شيئا مسليا، وأنه ليس إلا وسيلة سخيفة للتسلية. كان عجيبا أنه تذكر هذا الحدث في هذه اللحظة، ومنذ أن طلبت منه أخته النجدة لم يكف عن محاولة استعادة ذكريات طفولته لحصر الأماكن التي كان يستطيع

حينئذ الاختباء فيها ولكن كان ذلك عبثا.

كانت المزرعة تختفي عن بعد. كانا قد قطعا مسافة طويلة. كانت "سوزي" نشيطة غير أن هذه المسافة كانت تبدو أبعد مما تتحمله ساقاها الصغيرتان.

نادى "لوري":

– هل لديك جديد؟

– لا.

– هل أنت متأكدة من أن كلبك يتبع أثر ابنة أختي؟

– نعم يا سيد "نورث". إني مقتنعة بذلك. لماذا لا تتصور أن ابنة أختك يمكنها أن تصل إلى هذا المكان؟

– لأننا كثيرا ما حذرناها من ذلك.

مرة أخرى قهقهت "لوري":

– بالتأكيد أنت غير ملم بأطوار الأطفال وتصرفاتهم؛ إذ إن منعهم عن أي حركة يعتبر عندهم بمثابة تصريح بالقيام بها.

وقد يكون هذا صحيحا عندما كان "جاريد" صبيا. لكنه لا ينطبق على ابنة أخته.

– إن "سوزي" تتسم بالعقل والطاعة.

– إننا لا نتحدث عن التعقل وعصيان الأوامر ولكن عن الأطفال وفضولهم.

ابتعد "كابيتين" على اليمين وبدأ يتشمم دائريا وأنفه على الأرض. أسرعت إليه "لوري" في الحال وهي تصيح:

– لقد وجد شيئا. سأذهب لكي أتحقق الأمر. حينئذ جرى "جاريد" نحوها وفي اللحظة التي وصل فيها عندها كانت منحنية على دائرة من العشب المتجمع.

قالت:

– يبدو أن "كابيتين" مهتم بفراش أحد التيوس البرية.

فجأة وجد "جاريد" أن تسلق الهضبة يعتبر مضيعة للوقت.

صاح ثائرا:

– يبدو أن كلبك يعتبر نفسه في رحلة صيد.

سألته في هدوء:

– أمازلت تشك في مهارة كلبي؟

– لم أر شيئا حتى الآن يثبت لي أن ابنة أختي "سوزي" مرت من هنا.

كان "جاريد" يعلم تماما أنه لم يكن لطيفا مع المنقذة لكن كل ما يهمه حاليا وقبل كل شيء إنقاذ ابنة أخته.

كانت أيضا السحب المتلاحقة فوق رؤوسهما تزداد سوادا أكثر فأكثر. أما الريح التي كانت تزداد نشاطا بدورها فلم تكن تلطف الحرارة إلا بقدر قليل.

فهم "جاريد" حينئذ أن العاصفة قد أتت أسرع مما كان متوقعا.

– وحتى لو اتبع كلبك ابنة أختي فسيفقد أثرها بسبب المطر الذي سوف يتساقط عن قريب.

– لا يوجد في هذه المهمة "لو" و"إذا" يا سيد "نورث". إن كلبي يتبع أثر ابنة أختك وإن لم تكن الأمطار غزيرة فسيستمر في اكتشاف الرائحة.

وكان هذا المناخ يثير ذبابا وناموسا بكميات هائلة أخذت تهاجم "جاريد". وكان هذا لا يمنعه من التفكير في بشرة "سوزي" الرقيقة بينما كان يصفع نفسه على العنق والذراعين بسبب لدغ الناموس.

– خذ. ضع قليلا من هذا السائل إلى أن أطلب الشريف.

وبينما كان مهتما بالدفاع عن نفسه لم يلمح "لوري" وهي تضع حقيبتها أرضا وتخرج منها قنينة ناولته إياها.

– يفهم من طريقة تجمع الذباب عليك أنك قطعة مختارة.

– لو فكرنا فيما يجد فيه الناموس لذته في المزرعة!

وضع قليلا من السائل المضاد للحشرات في كفه ثم دهن به الأجزاء الأكثر تعرضا للدغ ثم قال:

– إنك تقومين حقا بكل الاحتياطات اللازمة.

– إن هذا اللوسيون ضروري في الصيف.

– هل سبق أن استخدمته لنفسك؟

– نعم. وضعت منه قبل مغادرة المزرعة.

– وماذا تحملين بخلاف ذلك؟

– قليلا من كل شيء.

وفعلا كان واضحا ما يؤكد ذلك، كان معها حقيبة إسعافات أولية، سكين، علبة أعواد ثقاب كبيرة، زجاجة ماء وبطاريتان كهربائيتان. بخلاف أشياء ولوازم أخرى كثيرة من الممكن استنتاجها.

أخذ يراقبها وهي تخرج الراديو من جرابه بحركات رشيقة؛ لكي تتصل بعد ثوان بـ"روچيه"، وأثناء ما كانت "لوري" تشرح له كل ما قاما بعمله حتى الآن فتح "جاريد" قميصه ودهن صدره بالسائل. ولما انتهى فوجئ بـ"لوري" وعيناها متسعتان.

كان نظرها مثبتا على الصدر العريض، ثم ارتفع نظرها إلى وجه "جاريد" ثم التفتت ببطء أما هو فقد لمح الحمرة تعلو وجنتيها.

سمع بعد ذلك صوت الشريف بوضوح:

– لقد وصل حراس الغابات لتوهم هل تنتظروننا؟ عليك الدور.

– لا أعتقد... إن "كابي" يواصل اتباع الأثر وبالنسبة لي فإني أفضل الاستمرار إذن عليك أنت.

قال "جاريد":

– كان يواصل اتباع الأثر أما الآن فقد اختفى.

– لا يا "كابي" عد!

أجابها صوت الرعد. ثم نادى "روچيه":

– "لوري". الرعد يصل بأقصى سرعة يلزمني الآن التوقف عن البحث. ارجعا كلاكما.

بعد نظرة خاطفة إلى السماء واجهت "لوري" "جاريد" وأردفت بنبرة جافة:

– وجب أن تنصرف. بل لم يكن من الواجب أن تكون هنا.

– أوه أوه! إذا كان كلبك سيقودنا إلى "سوزي" فسأستمر في اتباعه.

وطبعا إنه لن يخضع لأوامر هذه المخلوقة الضئيلة.

في هذه اللحظة شق السماء برق رهيب. سُمع بعده صوت جعل الأرض ترتج. بدون تفكير. حوط "جاريد" عنق "لوري". "چوان" أيضا كانت فزعة من صوت الرعد، وكانت تدّعي أنها لا تجد أمنها إلا إذا احتمت

بصدر زوجها. أما رد الفعل عند "لوري" فقد كان مختلفا.

تجمدت وابتعدت عنه معترضة ثائرة:

– ما الذي دهاك؟

وإذ شعر أنه غاية في الغباء حاول توضيح موقفه:

– أنا.. الرعد... غاية ما في الأمر كنت أريد أن أطمئنك.

– أنا لست طفلة. ولا أخشى البروق ولا الرعود. أتفهم ذلك؟

وأتى صوت "روچيه" لكي يسبق إجابته:

– أنا أكرر... "لوري" "جاريد" ارجعا.

رفعت الفتاة الراديو إلى فمها وأجابت في اختصار:

– إننا صرنا في أعماق الغابات.

أعادت الآلة إلى مكانها ثم أعادت غلق الحقيبة التي ألقت بها على كتفها عندما تقدم "جاريد" لكي يأخذها من يدها. قالت:

– لا. إني قادرة على حمل حقيبتي.

– لكني ألح في ذلك.

– لا، أنا التي ألح ولا تنس أني أنا المسؤولة.

سقطت نقطة كبيرة على طرف أنفه الأفطس، قد يكون هذا الوضع عجيبا في مواقف أخرى... بعد قليل توالت النقاط واحدة على وجنته، والأخرى على جبينه.

وضعت "لوري" حقيبتها على كتفها وأخذت تجري مثل الغزال في اتجاه الغابات. جرى "جاريد" خلفها مثل أسد مقيد بفريسته. هكذا كان يبدو له.

ثم تحولت الأمطار إلى قطع ثلجية استمرت في السقوط على أطرافهما المتألمة دافعة إياهما على العدو بسرعة أكثر فأكثر. إلى أن صاحت "لوري":

– – في أي اتجاه رحل كلبي؟

– لست واثقا من ذلك. يوجد طريق إلى اليمين.

كان هذا الطريق هو الذي يتخذانه هو و"توم" زوج أخته في سباقهما الصباحي في الغابات... اتجه نحو اليمين معتقدا أنها ستتبعه.

كانت كرات الثلج لا تخترق المكان تحت غطاء أشجار الأرز الشامخة غير أن آخر الأشعات الليلية بدأت تختفي. أصبح الطريق عبارة عن تشابك

أغصان ميتة وأحجار متشعبة مدببة ، تعثر "جاريد" أولا ثم استرد توازنه. توقف وكانت "لوري" من خلفه منحنية، ويداها على ركبتيها تحاول هي أيضا أن تسترد أنفاسها.

دار على عقبيه ولمس كتفها. انتصبت في الحال وتفرست فيه. وفجأة بدا عليه القلق؛ لأن "جوان" كانت تعاني ضيقا في التنفس يعتريها من حين إلى آخر.

– كيف حالك؟

– حسنا.

– هل أنت واثقة من ذلك؟

وضع أصابعه على المكان الذي ينبض فيه الدم على عنقها. شعر وكأنه يلاطف عصفورا.

وما هي إلا لحظة وجيزة حتى اطمأن عندما شعر بانتظام ضربات قلبها. لم يجد "جاريد" الوقت الكافي للشعور بالارتياح لذلك؛ لأنها بضربة خفيفة من يدها أبعدت يده عنها.

كزت على أسنانها وقالت:

– لقد أخبرتك أني على ما يرام. اسمعني يا سيد "نورث" وجب أن نوضح الموقف: ليس لك الحق في تدليلي. إني أعلم ما يجب علي القيام به. مرة أخرى أكرر لك أني المسؤولة الوحيدة عن هذا العمل وعليك أنت اتباعي وليس العكس ، الأمر الذي يلغي اتخاذ قرارات. مفهوم؟

وكان إصرارها هذا على مسؤوليتها وحدها قد بدأ يثير "جاريد"... إنه هو الذي تنبه أولا إلى أن الكلب قد اختفى في الأماكن المحيطة فكان إذن أمرا طبيعيا أن يتخذ اتجاه العمليات.

قال معترضا:

– إني كنت لا أعمل إلا على أن أكون نافعا.

– آه حسنا. إذن ابتعد عن طريقي... بهذا تكون نافعا جدا.

وضعت بعد ذلك حقيبتها على الأرض، وبدأت تنبش في محتوياتها. ثم في ظرف ثانية أخرجت ما كانت تبحث عنه بطارية كهربائية. صوبت شعاعها نحو الأرض. ثم أخرجت واحدة أخرى ناولتها إلى "جاريد" قائلة:

– في إمكانك حاليا استخدام بطارية "كابي".

اضطر هذا الرجل الناضج إلى أن يعض على شفتيه؛ حتى لا يضحك. غير أنه لم يتمكن من الامتناع عن مداعبتها:

– هل كلبك يستخدم مصباحا. وهل يضعه بين أنيابه أم بين قدميه؟

– أمرك عجيب. إني أربطه في عنقه. وبهذه الطريقة أستطيع أن أراه في الظلام.

– وبالمناسبة أين الكلب الآن؟

– لابد أنه يتبع الأثر.

رفعت "لوري" بطاريتها نحو الأشجار وكانت جذوع الأشجار تمتص الضوء لكن الأوراق العالية المبتلة من المطر كانت تلمع مثل الأحجار الكريمة. كما أن الرطوبة كانت– بفعل السخونة– تتساقط على الأرض على هيئة قطرات دقيقة، وكانت تعمل على تنقية الهواء وانتشار رائحة أشجار الأرز الزكية.

عندما سلطت الفتاة ضوء البطارية على الطريق كانت الآثار الوحيدة التي تمكن "جاريد" من مشاهدتها هي تلك التي كانت لأقدام التيوس.

لقد استنتج ذلك قبل الآن. لابد أن هذا الكلب اللعين قد انصرف للصيد. كانا قد أضاعا الوقت في البحث عنه خلال الحقول والغابات، والله وحده هو الذي كان يعلم أين توجد "سوزي" حاليا. بالتأكيد كان لا ينبغي أن تخالف الصغيرة نصائح والديها، وكان "جاريد" يأمل أن يجدها "كابي"... عجز "جاريد" عن التفكير وأصبح لا يدري كيف يتصرف. بطريقة آلية مد يده إلى جيبه، أخرج منه علبة سجائر، ثم تذكر مرة أخرى أنه كان قد كف عن التدخين.

كانت "لوري" تتقدمه موجهة مصباحها على الطريق، وكان "جاريد" لا يرى إلا آثار أقدام الحيوانات.

ثم سألها وقد بدا عصبيا:

– كم من الوقت سنقضيه على هذا الحال؟

– فترة ليست بالقليلة.

– في إمكاني إشعال نار. لقد رأيت أن معك أعواد ثقاب ، بذلك

نتجفف إلى حين عودة كلبك.

وكانت درجة الحرارة قد انخفضت فجأة انخفاضا ملحوظا: خمس عشرة درجة على الأقل.

– ليست لي نية الرفض.

كانت "لوري" في هذه الأثناء تقلب كل حجر وترقب كل غصن يقع.

– لماذا؟

قالت:

– تعال انظر.

اقترب جاعلا ضوء بطاريته يمتزج بضوء بطاريتها، كانت تحت أقدام الفتاة قطعة من الطين تحمل أثرا مميزا لقدم الكلب الألماني، وهذا لم يدهشه أبدا.

– وبذلك تعلم أن "كابي" هنا؟

– الآن، وانظر.

وجهت بطاريتها المضاءة على حافة الطريق هناك حيث كانت قد رفعت غصن شجرة كان قد سقط حديثا. وقف "جاريد" صامتا. رأى بوضوح أثر حذاء طفل.

ثم صاح:

– إذن لقد جاءت إلى هنا!

سُرّت "لوري" لدهشته هذه وابتسمت.

– هيا يا سيد "نورث" لا تعد تخبرني بانه كانت تساورك شكوك في ذلك.

مط الرجل شفتيه و أردف:

– أتعلمين أني كنت أشك في مجيئها إلى هنا؟ لقد أخطأت في هذا كله.

– لقد سعدت لسماعك الإقرار بذلك.

فركت يديها حتى تتخلص من الطين العالق بهما، استطردت:

– والآن علينا أن نتمنى ألا تكون ابنة أختك قد تعمقت أكثر من ذلك.

– أعلم أن أبعد من ذلك يوجد تجمع صخور خطيرة.

كان "جاريد" يعلم ذلك لأن "توم" كثيرا ما اصطحبه إلى هذا المكان، وكانت مشقة الصعود تساوي هذا العناء من أجل رؤية رائعة يكتشفها المرء من أعلى على الوادي السفلي.

أردفت "لوري":

– ليتنا لا نفكر فيما هو أسوأ.

أراد أن يدافع عن وجهة نظره لكن الحقيقة كانت تفرض نفسها.

أسرعت "لوري" إلى حقيبتها وأغلقتها.

– أعتقد أنك لن تسمحي لي بحمل هذه الحقيبة عنك؟

لم تجب الفتاة في الحال.

استمر "جاريد" في حديثه:

– أو أن أريك الطريق؟ إني أعرف دروب هذه الغابة أكثر منك. أجابت:

– لا أهمية لهذا الآن. إنه أثر ابنة أختك الذي نتبعه، والوحيد الذي يعلم إذا كانت تركته أم لا هو "كابي".

– الذي تركنا!

– سيعود.

تقدمت "لوري" الفريق مدققة النظر لاكتشاف أي أثر آخر. وقد حكم "جاريد" أنها على حق في كل كلامها وتصرفاتها؛ قرر اتباعها. ولما كانت آخر أشعة للنهار قد اختفت كان عليهما الاعتماد على الضوء الصناعي. كما أنه بسيره خلفها سيعمل على حمايتها.

كانت العاصفة فوق رأسيهما والرعد يُدوّي بدون انقطاع، والبروق تسطع. كل هذا كان بالإضافة إلى صوت الرياح المرعب، كان من الصعب أن يسمع الواحد الآخر... لكن "جاريد" كان –في غير ملل– يردد اسم الصغيرة قلقا متمنيا سماع صدى صوته لكن لا شيء.

كان الحزن يعتصر قلبه لمجرد فكرة أن تكون هذه المخلوقة الضئيلة مفقودة في هذه الغابة وسط هذا الظلام، لابد أن تكون فزعة، وأيضا لابد أن يكون منظر الأشجار الشامخة مخيفا جدا بالنسبة لها.

واصلت "لوري" مسيرتها بكل ثقة وهي تتفحص كل سنتيمتر. كان "جاريد" يتطلع إلى الأفق من فوق رأسها.

فجأة تجمد عندما شعر بأن شيئا ما يتجه نحوهما. تقدم خطوة، وضع يده على كتف الفتاة وقال بنبرة آمرة:

– احتمي خلفي.

الفصل الثالث

توقفت "لوري" تماما لكنها لم تتحرك أبدا لكي تطيع أوامره. همست:

– لماذا؟

– لأن...

لم يكمل كلامه، لأنه شعر فجأة أنه سخيف؛ إذ لم يكن سوى الكلب الذي كان عائدا نحوهما. كان يهز ذيله علامة الانشراح كما أنه كان يحمل بين أسنانه عصا قام بوضعها تحت قدمي سيدته. أمسكت بها ثم أرتها "جاريد" معلقة:

– هذا يعني أنه عثر على ابنة أختك.

لم تكن سوى قطعة خشب لكن "جاريد" رأى فيها رسالة سمائية. صاح في براءة:

– أين هي؟ كيف حالها؟

– لست أدري، لقد دُرّب "كابي" على إحضار غصن عندما يعثر على ما قد عُين له وليس القيام بإجراء أحاديث. أعطني مصباحك من فضلك.

مد لها بطاريته فعلقتها على كلبها، ثم بصوت منخفض أعطت إليه أمرا، فما كان من "كابيتين" إلا أن عاد إلى المكان الذي كان قد أتى منه.

وكان الطريق يزداد صعوبة إذ كان متعرجا، وكانت الأشجار قد تركت المجال لصخور تعتبر من أشهر المناظر المألوفة في "شاوني". كانت هذه الصخور ممتعة ليس للنظر فقط وإنما للتسلق أيضا لكن الظلام كان يجعل منها خطرا مميتا.

وكانت السحب التي تقطعها البروق تبدو واضحة فوق رأسيهما. كان التعمق في الغابة في مثل هذه الظروف يعتبر جنونا، غير أن "كابي" كان يتقدم بكل ثقة متسلقا الصخور في غير تردد و"لوري" في أعقابه. بالتأكيد لم يكن هناك مجال للتفكير الجيد مع هذه المغامرة.

صاحت الفتاة:

– انتبه إلى المكان الذي ستضع قدمك عليه.

كان الصعود شاقا؛ لأن الحصى كان يتدحرج تحت أقدامهما متسببا لهما

في اختلال توازنهما في كل خطوة. كانت أقل حركة خاطئة وأقل لحظة من عدم الانتباه تعرض صاحبها لخطر شديد، ولما كان "جاريد" يتألم لهزال "لوري" وسط هذه العناصر الخطيرة عرض عليها أن تتعلق به. ابتلع الريح إجابتها لكنه لم يجد صعوبة في استنتاجها إنها كبيرة وإنها... إلخ.

قال ملحا:

– كوني حذرة.

كانت تتوقع وجود الكلب أمامهما بفضل الكشاف الذي معها. كان مستميتا في التسلق، وكل ما كان يرغب "جاريد" فيه هو العثور على "سوزي" – عندما يصلان إلى القمة – حية وسليمة.

خارت "لوري" فجأة، وعندما قاومت للحصول على توازنها فتحت يداها وسقط مصباحها في الهاوية... بأسرع ما يمكن ودون أن يفكر ألقى "جاريد" بنفسه عليها ممسكا بها من المكان الذي وجده تحت يده ملقيا بها على الجانب الصخري. ولو كان وزنها أثقل مما هي عليه لكانا قد سقطا في المستنقع. انتصبت على قدميها أخيرا وذلك بمعاونة "جاريد" لها.

لأول مرة منذ أن التقيا لم تعارض "لوري" ما قام به "جاريد". مالت لفترة قصيرة على صدره. ثم ما لبثت أن ابتعدت ومالت على الهاوية. هناك من بعيد كانت البطارية تبعث ضوءا ضعيفا.

أمسكت "لوري" بذراع "جاريد" وتمتمت:

– شكرا.

– عفوا.

ثم بدون مزيد من التعليق عاودت صعودها، وكان "جاريد" يلاحظ أنها تتخذ الحيطة أكثر من ذي قبل، وعندما أصبح الطريق ضيقا جدا وافقت على أن يخفف عنها عبء الحقيبة. وعند القمة أسرع إليها "كابي"، لحس يدها، ثم قادها نحو كومة من الصخور.

كانت الأمطار قد أغرقتهما، والرياح قد أثلجتهما ففقدا صوابهما، كان "جاريد" يبتعد عن مدخل المغارة، و ثم على ضوء البطارية رأى أمامه شيئا مطويا.

– "سوزي"؟

اختفى الاسم مع صوت الرعد بالرغم من قوة صوته. اتجه حالا الكلب نحو الجسد الصغير وحينئذ تمكن "جاريد" من رؤية ابنة أخته، ركبتاها تحت ذقنها ووجهها مختبئ بين ذراعيها. رفعت رأسها عندما اقترب منها الحيوان، وكان الرعب باديا في عينيها الزرقاوين.

نزل "جاريد" إليها وضمها بين ذراعيه.

– "سوزي" صغيرتي "سوزي"! هل أصابك مكروه؟

– خالي "جاريد"! أخيرا حضرت. لقد عجزت عن العثور على طريق المنزل، لقد سرت خلف أحد الحيوانات لكنه فر، أعلم أنه لم يكن ينبغي علي أن آتي إلى هنا.

– المهم كيف حالك؟

وكان هذا هو ما يهم حاليا، وفيما بعد "توم" و"بيكي" سيتصرفان معها بسلطان الأبوة. كل ما كان يشغله هو أن يتأكد من أنها سليمة تماما.

– إني بحالة جيدة جدا يا خالي "جاريد". لقد تسلقت هذه الصخور؛ لكي أتمكن من رؤية منزلنا، ثم تساقط المطر ولقد وقعت على رأسي بعض الكرات البيضاء. فاحتميت هنا.

شعر "جاريد" بأن الدموع تلمع في عينيها، فضمها إليه أكثر في حنان لا يوصف. أتت بعد ذلك "لوري" وجثت بالقرب منهما وسألت:

– كل شيء على ما يرام؟

– ظاهريا نعم.

أعلنت "سوزي":

– أنا جائعة جدا.

طمأنتها "لوري":

– سوف نجد ما يمكنك تناوله الآن، ثم بعد ذلك نخبر والدتك بأننا عثرنا عليك.

عادت الفتاة مرة أخرى إلى حقيبة المعجزات، أخرجت منها باكو بسكويت وعلبة عصير فواكه. وبينما كانت الصغيرة تتناول هذه الأطعمة كانت "لوري" تتصل هاتفيا بالشريف، وكان "جاريد" يفحص ابنة أخته لاكتشاف أية جروح من المحتمل أن تكون قد أصابتها. لم يكن بها إلا

بعض الخدوش ولدغات ناموس. أما أصعب ما عانت في مغامرتها هذه فقد كان الجوع!

بعد لحظة مدت لها "لوري" الراديو وقالت لها:

– والدتك تريد أن تقول لك بضع كلمات تكلمي بصوت عال؛ لأن الخط مشوش.

سردت الطفلة قصتها، وكان الخوف قد ابتعد عنها ثم ختمت بقولها:

– كنت أظن أن الذي سيحضر لأخذي هو دب أسود كبير وبه طوق في عنقه لكنه كلب وهو بصحبة خالي "جاريد" وفتاة لا أعرفها.

وكانت "سوزي" تلاطف رأس هذا الحيوان الشجاع أثناء مكالمتها لوالدتها. ثم بعد لحظة رقد الكلب "كابي" في ركن من المغارة، والصغيرة محتمية ومستدفئة بالقرب منه، وكان شعرها الذهبي مختلطا بشعره.

قال "جاريد":

– إنها منهكة. ساهزها لئلا تنام.

– دعها تنام.. إني أعلم- بالخبرة- أن "كابي" وسادة جيدة. لقد سمعت ما قاله الشريف. إننا في انتظار عاصفة أخرى تلي هذه إني أخشى أن تنهار هذه الصخور.

لم يحدث شيء من حسن حظهم؛ لأنهم في هذا الوضع وبدون أي حماية كانوا أهدافا للصاعقة. وفي نهاية الأمر كانت المغارة التي اكتشفتها "سوزي" ملجأ مناسبا لهم. لم تكن بالتأكيد كبيرة جدا، كانت حوالي ثلاثة أمتار في مترين، غير أن الطبيعة قد أعدتها لصالحهم. ولاحظ "جاريد" أنه بينما هو يضطر إلى الانحناء للدخول إلى المغارة أو التنقل بداخلها كانت "لوري" تقف بلا مشاكل فيها تحت قبوها. ومع ذلك جثت على ركبتيها لكي تفتح حقيبتها.

قالت معلقة:

– معي أغطية خفيفة لكنها تبعث الدفء جيدا سأضع منها واحدة على الصغيرة.

زحفت نحو الطفلة وغطتها، ثم تناولت البطارية التي كانت مازالت معلقة بالكلب.

أضاءت- أثناء عودتها- وجه "جاريد" الذي كان مستندا إلى جدار المغارة.

أردفت:

- أقدم لك الشكر يا سيد "نورث"؛ إن حركتك أنقذت حياتي.

- أهنئ نفسي على هذه اللمحة الطيبة التي بدت منك، ألا تجدين أن الوقت أصبح مناسبا لكي ننادي بعضنا بعضا بأسمائنا؟

- بالتأكيد يا "جاريد".

ابتسمت له ثم حولت نظرها إلى الصغيرة.

- إن أروع إحساس هو دائما عندما أجدهم في حالة طيبة، كم كنت مهمومة من أجل هذه الصغيرة.

- وأنا أيضا.

نظرت "لوري" ثانية إلى حقيبتها.

- أعلم أن معي أغطية أخرى. كنت قد قررت أن أحمل معي المعدات اللازمة ذات الوزن الخفيف عندما اتصل بي الشريف، ثم التفتت قائلة أين هي؟

مر "جاريد" بالقرب منها. كانت تنقل حاجاتها من جانب إلى آخر في الحقيبة، وأخيرا قررت إخراج كل شيء بالقرب منها فنتج عن ذلك عمود.

وكما كان قد خمن "جاريد" كان بها من كل شيء. بطاقات، ورق، أنابيب مراهم، كريم للشمس، أقراص، أكياس مليئة- بلا شك- بالأغذية وأشياء أخرى قد تكون منظفات ومطهرات. كان بها أيضا كاميرا (آلة تصوير) ونظارة مكبّرة.

أثناء ما كانت تنبش ألقى نظرة على يدها اليسرى. ليست بها دبلة، لكن هذا لا يدل على شيء. رغب في معرفة ذلك فتجرأ على سؤالها:

- ما رأي زوجك في عمليات الإنقاذ التي تقومين بها؟

- إنه طليقي وهو يعتقد على كل حال أني "مهبولة".

- صديق صغير إذن؟

توقفت عن الحركة ونظرت إليه.

استطرد "جاريد":

- خطيب؟ رفيق؟ ما رأيه عن تصرفك هذا؟ خاصة عندما يعلم أنك بمفردك في الليل وسط الظلام بين هذه العناصر المثيرة؟ كانت "لوري" تجلس القرفصاء متخذة الجدية أجابت:

- حسنا. أولا إذا حدث أن سمح لنفسه أحد الشبان أن يتدخل في قراراتي فإن هذا الشخص لا يعتبر بالتأكيد خطيبا ولا صديقا صغيرا.

من جانب آخر ليس لدي الوقت الكافي للخروج مع شاب ولا حتى البدء في أي علاقة.

لم توجه الفتاة إليه أي سؤال لكن "جاريد" اعتقد أن من الواجب عليه أن يوضح موقفه:

- أنا أرمل: لقد توفيت زوجتي منذ خمس سنوات.

- كم تأثرت لذلك، عجيبة...

- ماذا؟

- هل تظنني أحدا؟

عادت إلى بحثها، راقبها لحظة، لا. إنها لا تعتقد أنه أحد قد عرفته قبل الآن.

استطرد:

- أنا متأكد أنك لست من هذه المنطقة، وهذا من لهجتك، المفروض أن من لهم أحد يشبهونه يكون من هنا. "ريث"، الشريف وأنت والآخرون. هل لك فترة طويلة في "نورتون"؟

حينئذ صاحت "لوري":

- لهجتي؟ ليست لي لهجة. إن سكان هذه المنطقة هم الذين يتكلمون بلهجات؛ أما في "شيكاغو" فالناس يتكلمون مثلي.

إذن إنها من "شيكاغو"، وهذه المعلومة تعد بداية لكنه كان يرغب في معرفة ما هو أكثر من ذلك.

- لماذا أتيت إلى هنا وقمت بأعمال البحث هذه؟

أشارت إلى كلبها بإصبعها وأردفت:

- إنه هو الذي اقتادني. عندما اشتريته كان كلبا صغيرا عديم التهذيب، وكان يلزم تلقينه السلوك الحسن فوجدت وقتئذ أحد الأفراد الذي كان لا

يُعلم الطاعة فقط، إنما كان أيضا عضوا في فرقة إنقاذ. قرأت أيضا كتبا عن هذا الموضوع. ومنذ ذلك الحين وأنا أشعر بميل شديد إلى هذا العمل. أما باقي القصة فانت تعلمها.

– ليس بالضبط.

– لقد علمت من أختي بأنه كان لديك بوتيك للحيوانات في "نورتون"؟

– نعم. اسمه "لاري"، إنك لا تعرفه بالتأكيد. في الحقيقة أنا شريكة "ريث بانيج"، ومن هنا كانت الشارة واللافتة إن الـ... حسنا، لقد فهمت.

لوحت بيدها قبل أن تواصل كلامها:

– لقد نشأت "ريث" في "نورتون" وترعرعت فيها لكنها كانت تعيش في "شيكاغو" وتعمل فيها عندما عرفتها. كانت وقتئذ تخرج مع "جيم" مدرب كلبي الذي كانت تعاونه من وقت إلى آخر، ولما انفصلت عن "جيم" أصبحنا نتقابل كثيرا. كانت لا تحب حياة المدن الكبرى، وكانت تتمنى العودة إلى هنا... وعندما بدأت متاعبي مع زوجي السابق اقترحت عليّ أن أشترك معها في إحدى العمليات في "نورتون"، لقد بدأنا منذ عامين.

– ما الذي حدث مع زوجك؟

– شيء ليس بالغريب، إنه يرغب في عودتي إليه.

تناولت قطعة شوكولاتة، عرضت على "جاريد" تناول جزء منها لكنه رفض موضحا الأسباب:

– أرجوك اعذريني، إني لم أتناول طعاما سوى تفاحة واحدة وأشعر الآن بجوع شديد.

كان "جاريد" يقدر الحماس الذي كانت تتناول به قطعة الحلوى، كانت هذه الفتاة متحمسة لكل شيء، لكل ما تمتد يدها له.

– وهل ستعودين إليه؟

– "جريج"؟

قطبت حاجبيها وتأملت "جاريد" من الجبين إلى الكتفين ثم ثبتت عينيها في عينيه وأخيرا أجابته:

– لا. لقد تركت هذا الجانب من الحياة خلفي. إني مسرورة هنا. إن "نورتون" مدينة في مستواي، لا هي بالصغيرة جدا ولا هي بالكبيرة جدا. كل ما أرجوه هو أن ينتعش هذا البوتيك.

– كنت أجهل كل شيء عن تجارتك.

ثم دون أن يفكر فيما سوف يقوم به، مال عليها ورفع فتاتا من على شفتيها، كان يشعر نحوها بمودة بعد المخاوف المشتركة والراحة التي لقياها معا في ملجئهما، فكان بالتالي يبدو له أن لمسه لها يعد أمرا طبيعيا.

تمالكت نفسها دون أن تبعد النظر عنه ثم تمتم:

– إني مدين لك بعشاء؛ لأني حرمتك من تناول عشائك هذا المساء.

لاطف وجنتها بظهر يده، وجد أن بشرتها– التي كانت مازالت منداة من أثر المطر– رقيقة جدا، ناعمة، كان يلزمهما مكان شاعري؛ ليتمكنا فيه من التعارف أكثر.

– أعرف مكانا رائعا في "هاريسبورج" ما رأيك في مساء يوم الجمعة؟

اعترتها قشعريرة وأردفت:

– مساء الجمعة؟

خفضت بعد ذلك عينيها على حقيبتها ثم قالت:

– مستحيل!

– فليكن مساء السبت إذن..

– لا. لا أستطيع حقا.

قالت هذا بنبرات سريعة قاطعة وهي تبعد نظرها عنه.

وضع "جاريد" يده على ذراعها:

– انظري إلي يا "لوري".

نظرت إليه:

– لماذا يا "لوري"؟

– إن الخروج معك لا يعتبر فكرة جيدة.

– لماذا؟

– أولا: لأنك تحكم علي بأني صغيرة وبلا حماية.

– هذا كان حقيقيا عندما شاهدتك للمرة الأولى أما حاليا فإني أراك

صغيرة، ورائعة، وشجاعة أيضا بالإضافة إلى أني أرغب في معرفتك أكثر من ذلك.

– إنك تريد أن تكون دائما على حق.

لا. ربما كانت على حق.

قال معترفا:

– ربما يكون هذا راجعا إلى طبيعة عملي؛ لأني أدير شركة يقوم بالعمل فيها مائتا موظف؛ لذلك لي عادة إصدار الأوامر.

– هذا لا يدهشني.

لم يسبق له أن قامت فتاة برفض أي موعد مع "جاريد" بحجة أنه قائد مشروع ثم صاح بلهجة المصالحة:

– حسنا. حددي أنت يوم ومكان لقائنا لتناول العشاء.

– إنك لا تفهم... الموضوع ليس موضوع أماكن، أو أوقات أنا لا أستطيع الخروج معك.

غير مجرى الحديث.

– إنك مثلجة.

قالت:

– إنه غباء. كنت أشعر بالحرارة منذ ساعة وهانا أشعر بالبرد الآن.

– إن ملابسك مبتلة.

– وملابسك أيضا يا "جاريد". لو كان لدينا بعض الخشب الجاف لقمنا بإشعال نار واستدفأنا بحرارتها.

أخذا يتفحصان الأرض المحيطة بهما واهما. كانت بعض الأغصان الموجودة عليها مبتلة. مرة أخرى عادت "لوري" إلى البحث في حقيبتها.

قالت:

– إني متأكدة أني أحضرت هذه الأغطية. كنت قد وضعتها على المائدة.

تحقق من أنها كانت قد أخرجت كل شيء. دمدمت بكلمات غير مفهومة، عرف "جاريد" أنها رافضة تماما. كانت هناك وسائل أخرى للتدفئة...

حاول "جاريد" ضمها إليه فقاومته.

قال بنبرة توسل:

– لا تنصرفي يا "لوري"؛ لأن ما أقصده هو تدفئتك.

– لست محتاجة إلى معونتك!

ثم التفتت وهي تصيح:

– لماذا فكرت في ذلك؟

– لأنك تشعرين بالبرد، وكنت أريد العمل على تدفئتك.

– لست في احتياج إلى أي مساعدة، إني لم أعد طفلة يا "جريج". إني كفيلة بالسهر على كياني.

– أنا لست "جريج".

أخذت "لوري" تضحك. قالت:

– المعذرة. لست أدري ما أنا به هذا المساء. أنا بطبيعتي لا أحب القيود على هذا النحو.

– ربما أكون قد تصرفت بشيء من الجفاف، وربما الفظاظة وأطلب منك العفو، لكني أعلم أن اقتراب جسدين يبعث الدفء فيهما، وكلانا كان يشعر بالبرد، وليس لدينا خشب للتدفئة ولا حتى أغطية نقي نفسينا بها قسوة هذه الرطوبة؛ لذلك وجدت أن الشيء المعقول هو أن نقترب بعضنا من بعض.

لم تعلق الفتاة على كلامه؛ لذلك وجد "جاريد" أنه يحسن أن يبرر تصرفه:

– ليست لدي أي فكرة أخرى. إن تصرفاتي محترمة، ولا أبغي سوى راحتك.

اعترضت "لوري":

– وأيضا أعرف جيدا كيف أحصل على راحتي.

فوجئ "جاريد" وثار إزاء ما أبدته "لوري" من اعتراض، وما بدا من رد فعل لديها مع أنه كان لا يتمنى إلا أن يكون نافعا لها... وقد يكون أيضا قد منح نفسه مسرة احتوائها بين ذراعيه.

نهض وأردف:

– اتفقنا. هل تشعرين بارتياح؟ لكن عن نفسي فانا أشعر بالبرد كما أن ملابسي مبتلة. سأذهب وأستقر هناك بالقرب من ابنة أختي؛ لأن الهواء يكاد يكون منعدما في هذا المكان وإذا شئت أن تلحقي بي كان بها وإلا فلا داعي.

توجه لكي يجلس بارتياح في آخر المغارة.

www.elromancia.com

كان "جاريد" لا يمزح. لقد كان فعلا مثلجا، بنطلونه وقميصه كانا مبتلين، وحذاؤه وجوربه مشبعين بالماء مثل قطع الإسفنج.

تكوم في نفسه واضعا ركبتيه تحت ذقنه، وأخذ يتطلع إلى "لوري". أما هي فكانت تثبت نظرها على الخارج حيث كانت الأمطار تتساقط بغزارة مثل ستر مستقيم، وفي النهاية حولت نظرها إلى "سوزي"، والكلب، ومن بعدهما إلى "جاريد". وضعت الأشياء في الحقيبة وارتدت "كابا" من البلاستيك كانت قد وجدته فيها. كان "جاريد" على يقين أنها مستعدة دائما للهجوم... ومع ذلك- بعد أن أغلقت السوستة- اتجهت إلى المكان الذي كان جالسا فيه. مالت عليه وأعلنت:

- إنك على حق. في استطاعتنا الاشتراك في تدفئة نفسينا. كنت أتمنى أن أعيرك هذا الرداء الواقي من المطر لكنك لا تستطيع الدخول فيه.

جلست بالقرب منه؛ فشعر "جاريد" بموجة حارة تحتويه.

لمس كتف الفتاة ذراعه فتنسم في هدوء رائحتها الأنثوية الرقيقة، كانت رائحة عطر نسائي، والعشب وأثر الكريم المضاد للدغ الحشرات...

كانت "لوري" تجلس مغلقة العينين وجفناها يرتجفان ليس من الخوف- ولا شك في ذلك- إنما في توقع الانهيار الرهيب. بعد فترة صمت لم تدم طويلا أردفت:

- لقد سمعتهم يقولون: إن قاطع الطريق "جيسي جيمز" وعصابته يمرون بالخيل من هنا ويختبئون في مغارات مثل هذه.

علق "جاريد" على كلامها بقوله:

- لو كان "جيسي" قد قام بما يقولون عنه لما وجد الوقت للهجوم والسطو على البنوك والأنشطة المختلفة، غير أنه من الممكن أن يكون قد احتمى هنا- ذات مساء عاصف- مع المخلص "فرانك" مثلنا. فجأة ارتج بسبب قشعريرة قد اعترته، سألته:

- هل تشعر بالبرد؟ بالتأكيد. أليس كذلك؟

- بلى.

اقتربت منه وحوطته بذراعها:

- والآن؟

- إيه. عندي فكرة أفضل من هذه. ليتك تجلسين أمامي؛ بذلك سيكون رداؤك الواقي من المطر بمثابة مانع للهواء البارد.

دهش عندما أطاعته دون أدنى مناقشة. كان يتوقع قهقهة يعقبها رفض بارد.

عمل "جاريد" جاهدا على عدم إثارتها وذلك بالتزام الصمت، ومع ذلك وضعت "لوري" رأسها على كتفه، لم يتمكن "جاريد" من الامتناع عن إبعاد خصلة من شعرها الأسود خلف أذنها.

تراجعت قليلا، ثم استرخت وقالت معلقة:

- لابد أن يكون منظري فظيعا؛ لأني- في اللحظة التي اتصل بي فيها الشريف "أولسين" هاتفيا- كنت خارجة لتوي من الحمام.

قال "جاريد" مؤكدا:

- لا. إنك في أحسن مظهر.

- هل تشعر بالدفء؟

كانت درجة حرارته تأخذ في الارتفاع التدريجي؛ لذلك استطاع أن يجيب بكل صدق:

- بنسبة كبيرة. وأنت؟

- وأنا أيضا.

أراد "جاريد" أن يستفيد من هذه الأوضاع الطيبة.

قال:

- يقال: إن الأغلفة الصغيرة تحتوي على المفاجآت الكبيرة، وأنت تعتبرين الصورة الموضحة لذلك. كم أثرت عليّ هذا المساء؛ من أجل ذلك أتمنى أن أعرفك أكثر.

- هذا مستحيل.

- هذا ما تقولين. كيف تعرفينه؟ إذا كنت في احتياج إلى بيانات. فسأمنحك بعضها عامة، إنهم يعتبرونني فتى أحلام: أنا لا أشرب إلا العصائر، ليست لي مغامرات، ولا أفكار، ولا تصرفات سيئة، ولم أخرج مع فتاة منذ شهور عديدة.

- "جاريد" ليس مطلوبا منك أن تعطيني أية تفصيلات عنك.

- بلا شك. لكن إما أن أحدثك وإما أن أقبلك.

Hany elromancia.com

– الأفضل أن تتحدث.

كان "جاريد" يتمنى الحل الآخر لكنه خضع لاختيارها:

– بعد رحيل زوجتي إلى العالم الآخر أكثرت من الخروج. بلا شك كنت أسعى إلى تعويض ما قد فقدت. غير أني أعتقد أني رجل لامرأة واحدة و"جوان" كانت أيضا أفضل صديقة لي.

– شيء رائع جدا.

– هانا أكرر لك أني شاب جذاب، لطيف.

كان "جاريد" لا يكف عن التضرع إلى السماء حتى تهبه القوة والهدوء.

استطردت الفتاة:

– أحببت موقفك إزاء ابنة أختك.

– "سوزي" محبوبة.

كان لوجود "لوري" تأثير مُرْبك على جسمه، وعلى فكره، وعلى كل كيانه. لم يسبق له منذ فترة طويلة أن أثرت عليه فتاة بمثل هذه الصورة وأخيرا قال:

– عندي مشكلة.

– أية مشكلة؟

– الكلام لا يكفي، مازلت أرغب في تقبيلك.

لم تجبه في الحال وعندما قامت بذلك قالت بصوت أجش:

– إنها ليست فكرة جيدة بالتأكيد.

– لماذا؟

ثم كرر ملحا:

– لماذا يا "لوري"؟

– لأنه سوف يكون غباء!

– وهل أنت متأكدة من ذلك؟

– إنه جنون. طريقة تصرفك، كل شيء أنت... لقد عاهدت نفسي ألا أقع في شباك رجل مثلك.

قارب فمه من فمها وغمغم:

– ومن أي نوع من الرجال أنا؟

اختفت إجابتها في تنهيدة.

الفصل الرابع

كان "جاريد" في موقف المتسلط والمتملك. ولقد فهم جيدا ما همست به "لوري". لم يكن "جاريد" واثقا من أنه تعسف من جانبها، غير أنها كانت قد أجادت الحكم للصفة الثانية: ألا وهي الغباء.

لم يكن يتمنى سوى اقتراب شفتيه من شفتيها.

غير أن الظلام وقف حائلا دون ذلك فاستقرت قبلته على ذقنها. أما هي – الأمر الذي يدعو للدهشة – فلم تبد أي حركة للتراجع. وبالرغم مما قد أعلنت، تصرفت "لوري" كفتاة ترغب في التآلف معه، ولم يكن "جاريد" حينئذ متأكدا من أنه هو الذي يقبل أم أنه هو الذي يتلقى القبلات.

تساءلت "لوري" في داخلها إذا ما كانا يلعبان بالنار. أما "جاريد" فكان يجد فيها الفتاة الوديعة اللاذعة. كانت بالتأكيد وكأنها مصنوعة من صلب وصيني وفي مزيج من البراءة والجرأة، كانت "لوري" تمثل الدفء والحياة.

لأول مرة منذ أعوام مضت، أحس "جاريد" بالرغبة في العودة إلى عالم الأحياء. كان قلب الفتاة يخفق بنفس السرعة التي كان يخفق بها قلبه، وكان "جاريد" يعلم أنها – في هذا الظلام – لا تبعد عينيها عنه... لم تعد برودة الطقس مشكلة بالنسبة لهما... إذ إن كليهما كان يشعر بحرارة تسري في عروقه.

طالت فترة الصمت التي قطعتها "لوري" بقولها:

– إننا... لم يكن يجب علي...

وضع "جاريد" إصبعه على شفتيها ثم أمرها:

– امكثي.

شعرت "لوري" بقشعريرة تسري في جسمها ما لبثت أن هدأت في الحال ثم أعادت وضع رأسها على كتف "جاريد". كانت الأمطار تستمر في السقوط والرياح في الصفير لكن "جاريد" لم يكن يسمع إلا أنين "لوري" عندما وضعت يدها على صدره، ثم على ذراعه وبدت لها عضلة

www.elromancia.com

كتفه ذات الرأسين تمتمت:

– هل تمارس العاب القوى؟

– إني أسبح... أمارس السباحة كل يوم.

– كيف يحدث أن أتاثر بالشقر ذوي العيون الزرقاء؟

– حقا؟

– قد يبدو كذلك.

– لا بد أنك تتمتعين بذوق رفيع. إن لك أيضا ذوقا مضادا للبعوض.

– وألا يضايقك ذلك؟

– لا أبداً.

بالعكس كان "جاريد" يشعر بجاذبية قوية نحوها.

صدر أزيز من الراديو وإذا بصوت الشريف يقول:

– "لوري" إنت هنا؟

أعلنت تنهيدة الفتاة إلى "جاريد" أنها لم تُسَرّ لهذا النداء، ثم قبل أن ترد عليه كرر "روجيه أولسين" نداءه.

كانت الرسالة قصيرة ومحددة. كانت العاصفة تبتعد ووصول حُرّاس الغابة قد اقترب. وبذا تنتهي فترة الفتهما. لكن "جاريد" كان يعلم أن هذه الليلة لا تُعَدّ سوى بداية، وأن الوقت أمامهما للتعارف أكثر.

– كيف يحدث ذلك؟ إنها ليست هنا؟ أخبرها بأنه– إذا رفضت تناول التليفون– فسوف يتوجه إلى منزلها. لقد أثاره هذا الرفض الجديد إلى أعلى درجة فوضع سماعة التليفون بعنف ربما يكون قد أخطأ في التعامل مع شخص لا يعرفه جيدا غير أنه كان قد ملّ هذا التهرب الكاذب المتكرر.

وفي المغارة كان كل شيء يبدو كاملا عندما دخل أحد الحراس، أضاء وجه "لوري" وتحقق "جاريد" من أنها من البديهي قد قبلت، لم يفكر وقتئذ فيما يستطيع شعر لحيته أن يلحق ببشرتها الرقيقة.

ظن "جاريد" أنه من المستحسن أن يمزح بالنسبة لنقص الأغطية لكن الرجال اكتفوا بمط شفاههم.

كان أيضا لا يستطيع التفكير في أن "لوري" سوف تتضايق لهذه الحركات، وكان بعد ذلك حدث الحقيبة. إذ إنه– أي "جاريد"– عند

نزولهم إلى المزرعة كان قد ألقى بصورة طبيعية بالحقيبة على كتفه اليمنى ووضع "سوزي" على فخذه اليسرى، حاصلا بذلك على توازن متكامل. فما كان من "لوري" عند قيامه بهذه الحركة إلا أن نظرت نظرات تعبر عن أنه قام بخطأ جسيم، وكان الشرر يتطاير من عينيها العسليتين الواسعتين، ثم فور وصولهم أمسكت بحقيبتها واتجهت نحو سيارتها.

أما "جاريد" فكان قد أعاد الطفلة إلى "بيكي" التي كانت تضحك وتبكي في آن واحد وهي تغرق الطفلة بقبلات ممزوجة بالقلق. وعندما خرج في الحال لم يكن هناك أثر لـ"لوري" ولا لكلبها، لقد انصرفا دون كلمة وداع.

وخلال الأيام العشرة التالية لم يرها؛ لأنه كان كثير الانتقال لحضور اجتماعات خارج "نورتون". لم يلتق بها طوال هذه الفترة إلا عن طريق اتصالين هاتفيين كان "جاريد" يشعر من خلالهما بالغبن.

كان– في اليوم التالي للنجاة– قد طلبها في البوتيك وفي نيته أن يخبرها بأنه ينبغي أن يتغيب، كما أنه كان يريد تحديد موعد لتناول العشاء معها، لكنه لم يجد الوقت الكافي للتحدث عن كل هذا... إذ إن "لوري" كانت قد قاطعته بمشادة موضحة له أن تصرفاته كانت جريئة. وأين كان يستطيع الذهاب.

أما في المرة الثانية فكان قد اتصل بها في منزلها. كانت آلة استقبال الرسائل (الأنسرماشين) قد بدأت في العمل، وما إن بدأ في رسالته إذا بها ترفع السماعة. كانت تتكلم بلهجة ثائرة وبكلماتها القليلة أفهمته ألا يتصل بها بعد هذه المرة.

لم ييأس "جاريد". وكان يعمل على الاتصال بها مرة أو مرتين في اليوم الواحد– أينما تواجد– في المحل، أو المنزل، تاركا رسائل إلى "ريث" شريكة "لوري" أو على الآلة محددا في كل مرة المكان الذي تستطيع "لوري" مقابلته فيه.

كما أنه كان قد أرسل إليها خطابا طويلا يحتوي على عبارات اعتذار مرفقا به شيكا مهما تقديرا لها. ولكن كل هذا كان عبثا.

أما حاليا وقد عاد إلى "نورتون" فقد أصبحت "ريث" في ردها عليه

تكتفي بقولها: إن "لوري" غير موجودة.

أخذ يتجول في مكتبه بالطول وبالعرض ثم اقترب من النافذة؛ إذ كان يجد راحته في التطلع إلى المباني الحديثة التي تكوّن مصانع "نورث"... لكن لم يفلح شيء- في فترة بعد الظهر هذه- في تهدئة يأسه، ولا حتى فكرة أن هذه الأيام العشرة التي انقضت في مفاوضات قاسية قد انتهت بعقد جوهري لمشروعه وهو ما يبعد شبح البطالة إلى مدى بعيد. حقا إن حدثا مثل هذا كان يستحق الاحتفال به. لكن ها هي الفتاة التي كان يرغب في أن تشاركه هذه الفرصة ترفض الاستماع إليه.

خرج من الحجرة وتوقف أمام مائدة سكرتيرته. كانت "جراس كيلر" تعمل بالشركة منذ أكثر من عشرين عاما، كانت تعمل أولا كسكرتيرة للسيد "نورث" الأب ثم- منذ أن انسحب هذا الأخير- أصبحت سكرتيرة "جاريد".

كانت هذه السيدة منذ فجر خمسيناتها إنسانة ديناميكية تتمتع بصفاء الذهن وطلاقة اللسان.

سألها "جاريد":

- "جراس" هل أنا متسلط؟

- إنك الرئيس.

- ليس هذا ما أقصده. إنما أسألك هل تشعرين أني أجد متعة في إصدار الأوامر وتحريك كل العالم؟

حينئذ بدت على وجه "جراس" ابتسامة ماكرة كشفت عن أسنانها المصفوفة جيدا. قالت:

- إنك تشبه والدك في ذلك.

لم يكن "جاريد" يرغب في سماع هذا إنما كان يعلم أن "جراس" صادقة... كما أن هذه السيدة اللطيفة كانت تميل إلى معاملته كابن أكثر من رئيس.

- إذن تقصدين أني متسلط؟

- أقول إنك المدير وبما أنك تتمتع بهذا الوضع وجب عليك أن تصدر الأوامر. وهذا ما تقوم به- بحسب رأيي- بطريقة أفضل من والدك. هيا يا

صغيري ما هي مشكلتك؟

- فتاة صغيرة متعالية، ترفض مقابلتي بحجة أني جبار، طاغية.

- كف عن السيطرة عليها.

- كنت أتصرف معها كرجل مهذب.

- ماذا تدعى؟

- "لوري كراوفورد": إنها صاحبة الكلب الذي عثر على "سوزي".

أخذت "جراس" تبحث في البريد الموضوع أمامها.

- لم يفقد شيء. إن هذا الاسم قد ورد كمُرسِل لخطاب مسجل، لم أعمل على فضه لأن عليه كلمة "خاص".

قدّم لها "جاريد" الشكر، تناول الخطاب، فحصه ثم عاد إلى مكتبه، شعر وكأنه مراهق يتسلم أول رسالة من فتاة أحلامه.

لماذا كتبت له؟ لكي تعلمه بأنها عفت عنه؟ أم لكي تطلب منه أن يسامحها على ما قد بدا منها من برود؟

لم يكن هذا المظروف محتويا إلا على الشيك الذي أعادته إليه مع قصاصة ورق عليها كلمات تعرفه من خلالها بأنها لا تقبل أي مبلغ مقابل ما قامت به لكن في إمكانه تقديم منحة لجمعية الرفق بالحيوان، وكانت قد ختمت رسالتها هكذا: تحية صداقة - "لوري".

- صداقة!

لا. إن طريقة تقبيلها له لم تكن طريقة صداقة أو مودة... كانت قبلتها مثل قبلته تماما تعبر عما هو أقوى من ذلك. ويا للعجب! ها هي تتصرف كان شيئا لم يكن بينهما.

نعم... لقد حدث شيء حقا، لقد تقابل مع فتاة، وكان يرغب في التعمق في معرفتها، ومن البديهي أنه لن يقف مكتوف الذراعين بينما هي تعمل على التخلص منه في لمح البصر.

عمل "جاريد" كرة صغيرة من الشيك والخطاب وألقى بها في سلة المهملات.

بعد دقيقة خرج من مكتبه عازما على القيام بما كان ينبغي أن يقوم به قبل الآن.

بالرغم من أن "جاريد" كان يعرف عنوان بوتيك "لوري" الذي كان قد تحقق منه في الدليل قبل إرسال الشيك بالبريد، فقد وجد صعوبات عديدة للعثور عليه؛ لم يكن في المنطقة التجارية في المدينة ولكن في حي منعزل. كان هذا المحل يقع في الطابق الأرضي لمنزل صغير أبيض ذي نوافذ مطلية باللون الأخضر.

وكانت هناك سيارتان واقفتان بطول الرصيف. في الحال تعرف "جاريد" على سيارة "لوري" الـ"فورد" القديمة فعمل على وضع سيارته الـ"كاديلاك" خلفها... غير أنه لم يخرج منها. "لوري" كانت تعمل هنا، وتعيش هنا، ومع ذلك كان لا يعرف كيف يتقدم إليها إلى أن استرعى انتباهه كشك لبيع الزهور على الطرف الآخر للشارع.

وما هي إلا عشر دقائق وإذا به يعبر عتبة "لاري" المتخصص في كلاب المرافقة وبيده باقة من الزهور الربيعية. كان يتمنى أن تكون وروداً فاخرة غير أن الاختيار كان محدوداً، بالإضافة إلى أنه لابد أن "لوري" تعشق زهور الحقول.

كانت "لوري" تعطيه ظهرها وهي تتحدث إلى شقراء نحيفة تضع مريلة من الكاوتشوك حول وسطها. ابتسمت هذه الأخيرة إلى "جاريد".

التفتت "لوري" في دهشة.. اتسعت عيناها وفتحت فمها غير أنها لم تتفوه بكلمة واحدة. اتجه بثبات نحوها دون أن يبعد عينيه عن "لوري"، وجدها أرق مما كانت عليه في ذاكرته وأكثر رقة. كانت "لوري" في هندامها- المكون من "ميني چيب" أزرق و"تي شيرت" أبيض- وشعرها مسترسل في خصلات حول وجهها وتبدو مثل دمية رائعة.

صاح "جاريد":

- يالمحاسن المصادفات لم أكن أتوقع مقابلتك؛ لأني كنت أخيرا قد أيقنت أنك لا تأتين أبدا للعمل.

ثم ألقى نظرة على الشقراء التي لابد أن تكون "ريث" الشريكة التي كثيرا ما رددت له أن "لوري" غير موجودة.

تطلعت "ريث" إلى "جاريد" بنظرات إعجاب، ثم متوجهة إلى رفيقتها قالت:

- أعتقد أنه هو الذي اتصل منذ نصف ساعة معلنا زيارته، كنت قد أخطرته بأنك لن تكوني موجودة هنا.

تجاهلت "لوري" هذه المعلومة وقالت في دهشة:

- السيد "نورث" يا للمفاجأة!

- لقد مللت سماع أنك مشغولة، أو غير موجودة، أو خرجت لتوك، بالمناسبة وجب عليك أن تتأكدي من سلامة آلة الرد الآلي "الأنسرماشين" لأني تركت لك بها عدة رسائل، ومن البديهي أنه لم تصلك منها واحدة.

رفعت "لوري" ذقنها وأجابت بما يخيب ظنه:

- لم يكن لدي أي مبرر للاتصال بك يا سيد "نورث". لقد سبق لنا وتناقشنا في كل ما يختص بنا.

- لم تتم بيننا أي مناقشة.

ومع ذلك كان "جاريد" لا يشعر بالرغبة في المناقشة. بل إن ما كان يرغب فيه هو أن يحتويها بين ذراعيه، وأن يغرقها بالقبلات إلى أن تقتنع بالإنصات إليه... في انتظار ذلك قدم لها باقة الزهور معلنا:

- هذه لك.

- أنا لا أقبل أية هدية.

أدارت بعد ذلك ظهرها له وأخذت تطعم أسماك الزينة.

- "لوري"، يجب أن نتحدث.

اكتفت بهز رأسها علامة عدم الموافقة.

قال "جاريد" ملحا:

- هل تخشين ذلك؟

وقد أثارتها كلماته التفتت معترضة:

- لا. بالتأكيد لا.

- إذن اسمحي لي ببضع دقائق من وقتك أرجوك.

ثم ألقى نظرة إلى "ريث" التي كانت تقف بلا حراك إلى جانب "لوري".

- على انفراد من فضلك.

مرة أخرى هزت "لوري" رأسها:

– الوقت غير مناسب الآن. لدينا "ريث" و أنا أعمال كثيرة للإنجاز. ملتفتا إلى "ريث" أردف "جاريد":

– الآن أسالك يا سيدتي: أتجدين أنه من العدل أن تحكم فتاة على علاقة بأنها معرضة للفشل دون منحها أدنى فرصة؟

أجابت السيدة الشقراء في اعتراض:

– لا. اعتبرني خارج الموضوع؛ لأن "لوري" كفيلة باتخاذ قراراتها بمفردها لأنها رشيدة.

– وإني على علم بما أرغب في معرفته. إن أمامك سيدا يا "لوري". إني أهتم بكل شيء إذا تركت له الفرصة فهو قادر خلال عشر دقائق على إعادة نظام حياتك.

لكن في الحقيقة كان لا يهتم بحياة "ريث". إن كل رغبته كانت "لوري".

– إنك ظالمة يا "لوري". لقد تركت لك قيادة العمليات يوم إنقاذ الطفلة.

اعترضت الفتاة بصوت عال:

– كيف؟ تركت لي التصرف؟! أساسا لم يكن لك أي حق وقتئذ في التدخل. ولم يكن من حقك المزاح مع حراس الغابة بخصوص أمر غفلتي عن إحضار الأغطية، لقد ظننت أني ألقي بنفسي عليك، أو أني أتطلع إليك.

– أبدا. أنا لم أقصد أي شيء في قولي بأنه إن لم تكن لدينا أغطية فهناك وسيلة أخرى تبعث الدفء في كلينا وكانت وسيلة بديهية.

– ولم أجد غرابة في ذلك.

تمتمت "ريث" تعبيرا عن استحسانها للموقف فما كان من "لوري" إلا أن ألقت إليها بنظرة قاتمة.

دق جرس الباب.. في هذه اللحظة ولجت إلى المكان زبونة تحمل على ذراعها كلبا ترغب في تركه.

أسرعت "ريث" إليها وهي تقول لـ"جاريد":

– إن انصرافي سيتيح لك فرصة التحدث إلى "لوري" على انفراد.

شكرها ثم مشيرا إلى الباب المؤدي إلى المسكن سألها:

– هل في إمكاننا الذهاب عند كما؟

– لم لا؟ وجب أن أضع هذه الزهور في الماء؛ لأني أفزع لرؤية أي كائن حي يتألم. ولقد استنتج "جاريد" من عدم حماس "لوري" أنه بلاشك قد تسرع في هذه الزيارة ومع ذلك لم تكن له نية التراجع؛ لأنه كان من هذا النوع الذي لا يتخلى عن هدفه بسهولة. وكما كان "جاريد" قد استنتج، وجد أن المسكن عبارة عن ملحق للمحل. دهش لما رأى كان زوبعة كانت قد أثارت كل ما بالمكان؛ لذلك أسرعت الفتاة بتوضيح الموقف:

– أرجو أن تغفر لي هذه الفوضى؛ لأني قضيت الليل كله وفترة من الصباح في المساعدة في أعمال أبحاث.

– إذن كنت متغيبة عندما اتصلت.

– كالمعتاد اضطررت إلى الرحيل في بداية السهرة لإحدى الكوارث؛ لأن رجلا مسنا كان قد خرج من دار المسنين واختفى. لقد قمنا بالعمل على البحث عنه على فرقتين... وأخيرا وجدته الشرطة نائما على مقعد وسط المدينة.

وقبل أن تنهي حديثها كانت قد تناولت مقعدا، صعدت عليه لكي تتمكن من الوصول إلى أحد الدواليب.

قال "جاريد" مقترحا:

– هل في إمكاني مساعدتك؟

عمل المجهود الذي قامت به– للحصول على الفاز– على إبراز مفاتن قوامها التي سحرت "جاريد".. قالت:

– شكرا، لقد حصلت عليه.

ثم بعد أن التفتت شعر "جاريد" بأنه عاجز عن السيطرة على أحاسيسه نحوها فاندفع وأمسك بذراعها لكي يساعدها على النزول؛ تخلصت "لوري" بحرارة من يديه وقالت بنبرة باردة وهي تتجه إلى الحوض:

– أعتقد أني قد أخبرتك بأني لست في احتياج إلى معونتك.

أدارت له ظهرها أثناء ما كانت تضع الزهور في الوعاء، لكنه عندما لاحظ اهتزاز عنقها فهم أنها تضايقت فتساءل مرة أخرى عن مدى ملاءمة

تواجده عندها.

أردف "چاريد":

– لقد استلمت الآن خطابك، ومعه الشيك.

ولما لم تجبه في الحال ظن "چاريد" انها لم تسمعه بسبب خرير الماء. ثم أغلقت الصنبور وسألته:

– إذا كنت قد قرأت كلمتي المرفقة فلماذا أتيت إذن؟

– كان لابد من ذلك يا "لوري". إن ما حدث بيننا في هذه الليلة المشهورة التي قضيناها معا له أهمية كبرى عندي.

التفتت لكي تنظر إليه وفي ظرف ثانية استطاع "چاريد" قراءة نفس إحساسه في عينيها... عادت "لوري" إلى الزهور وتنهدت قائلة:

– إنك تضيع وقتك بمجيئك إلى هنا. إن ما قد حدث بيننا... لا أستطيع أن أوضح رأيي فيه لكني أعتبر خروجي معك غباء.

– لماذا؟

تلا بعد ذلك رنين التليفون مرة ثم اثنتين، وكانت الفتاة تضم شفتيها ولا تبعد النظر عن الآلة. ثم في المرة الثالثة بدأت آلة الرد في العمل.. وكان "چاريد" يعرف إعلان الآلة عن ظهر قلب، إذ كان ينبغي الاتصال بالبوتيك خلال النهار وإلا يلزم ترك رسالة. ثم سمع بعد ذلك صوت رجل يقول:

– ارفعي السماعة يا "لوري" انا "پيتر".

تلاشى التوتر من الوجه الجميل ونفذت الفتاة ما طلب منها.

أما "چاريد" – بالرغم من معرفته الجيدة بانه ليس من اللياقة– فكان ينصت إلى الحديث إذ عندما اتصل "پيتر" بالمحل كان قد أعلِم بان "لوري" في منزلها. وكان قد رافقها في رحلة البحث عن الرجل المسن... أخذت تضحك قائلة: نعم وإنها حاولت دون جدوى ان تحصل على قسط من الراحة وان تنام.

تجمد حينئذ قلب "چاريد" من الغيرة. هل كانت تقضي الليل مع "پيتر" الذي تركها لكي يترك لها فرصة الحصول على فترة نوم؟ وهل افتقدها إلى حد جعله غير قادر على الامتناع عن الاتصال بها بهذه السرعة؟

بدت على محياها علامات خيبة الأمل غير أنها لم تنطق بأي كلمة حب.

– أفهم جيدا، إذا كانت زوجتك محتاجة إليك فمن البديهي أن تساعدها. وسوف أجد أحدا للتدريب غدا، وإلا لا يهم، ليكن يوما آخر. هل أراك مساء الثلاثاء؟

انتظر "چاريد" الإجابة وكان يخشى سماع صوتها يرق بوعود شخصية.

– آه! خسارة!

ثم تنهدت وهي تخفض السماعة.

– هل لديك مشاكل؟

جاء رد "لوري" بنبرة جادة:

– ها هو آخر يتخلى عني.

– هل زوجته لا ترغب في مشاركته؟

– يبدو أنه كذلك.

– وكيف ستتصرفين إذن؟

– أن أستمر في التدريب.

– أذكرك باني مازلت مستعدا لذلك.

– يخيل إلي أنك لا تمتلك كلبا.

ارتبك "چاريد" ولم يعرف بم يجيب ثم قال:

– بالضبط.

– إذن كيف ترغب في توجيه أحد الكلاب؟

بدأ "چاريد" حينئذ في فهم قصدها.

– تقصدين أن "پيتر" يدرب كلبا؟

– كل أيام الثلاثاء وفي عطلات نهاية الأسبوع. إنه يمتلك كلبا من فصيلة جيدة ينبئ بانه سيكون كلبا رائعا ناجحا في عمليات البحث والإنقاذ غير أن زوجته تغار مني، وهذا طبعا يعتبر غباء مطلقا.

لمس "چاريد" من كلامها كل ما تضمنه هذه السيدة المجهولة... وأي رجل يقف بلا أحاسيس أمام "لوري"؟!

– هذا لأنك جميلة جدا.

فوجئت الفتاة بهذه الملحوظة الأكيدة ثم هزت كتفها قائلة:

– لا شأن لمظهري الخارجي في ذلك. أنا لا ألاحق زوجها الذي من جانبه لا يبدي نحوي أي اهتمام خاص. إن كل ما يرغب فيه هو تدريب كلبه، ومن جانبي أنا لا أبغي سوى مساعدته حتى ينجح في الاختبارات، بالإضافة إلى أنه كان نافعا لي جدا. كنت أرغب في تدريب "كابي" على تمرين يعد رسالة حقيقية غدا و...

– ساقوم بذلك معك.

– كيف؟

بما أن "لوري" كانت لا ترغب في الخروج معه فقد قرر "جاريد" أن يخرج هو معها. كانت تعتقد أنه لا يقدر كفاءتها وسوف يثبت لها العكس.

– لقد قلت: إني سأرافقك، ساقوم بدور الشخص المفقود أو أي دور آخر ترغبين فيه.

– لا تكن سخيفا.

ابتسم وقد سر لقراره.

– في أي ساعة من الغد؟

– الأمر لا يحتمل المزاح.

– إني جاد تماما. يلزمك من يقوم بالتدريب، وأنا رجلك.

بدا الارتباك على وجه "لوري"، ثم تفرست فيه دون أن تجيب.

سألها ملحا:

– في أي ساعة؟

– في الخامسة صباحا.

كان "جاريد" واثقا بانها كانت تتوقع أنه سيتراجع منتحلا أي عذر كان. ببساطة لأن الموعد كان مبكرا جدا لكنه لم يحقق هذا الأمل.

قال:

– إلى صباح غد في تمام الخامسة.

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي، وفي تمام الساعة الخامسة كان الظلام ما يزال مخيما والطقس رطبا غير أن الأرصاد كانت تتوقع يوما مشمسا جميلا مع درجات حرارة تتراوح بين عشرين وأربع وعشرين درجة. لم تغمض عينا "جاريد" طوال هذه الليلة نهض قبل رنين المنبه. كانت "لوري" قد أوصته بارتداء ملابس لا يخشى عليها وحذاء ضخما؛ لذلك كان قد أخرج بنطلونا من القطيفة المضلعة بني اللون و"تي شيرت" أخضر، أما بخصوص الحذاء فقد اضطر إلى الحصول عليه عند عودته في مساء الليلة الماضية.

عندما مثل أمام "لوري" فحصته من القدمين حتى الرأس، قطبت حاجبيها عند رؤية ما قد احتذى به.

– لماذا تضع في قدميك حذاء جديدا؟

– ليس لدي أحذية قديمة.

– إن هذا غير صالح؛ لأنك في ظرف ساعة ستجد الفقاقيع تملأ قدميك.

من البديهي أنها كانت تعمل على إيجاد سبب جيد لإلغاء خروجهما معا حتى لا تقضي فترة الصباح معه... وطبعا لن يمكنها "جاريد" من ذلك.

– لا تقلقي من أجل قدمي؛ لأن صانع الأحذية أخبرني أن هذا النوع سرعان ما يتطابق مع الأقدام، هل أنت مستعدة؟

استمرت في التطلع إليه من أعلى إلى أسفل وبالعكس، ثم بدت كمن اقتنعت أخيرا بأنه لن يتراجع.

قالت في استسلام:

– نعم.

أما هي فكانت قد ارتدت نفس الملابس التي كانت ترتديها يوم إنقاذ "سوزي": بنطلون، و"تي شيرت" بلون كاكي، و"جيليه" بلون برتقالي صارخ. أما البوت الذي كانت تضعه في قدميها فكان لينا مريحا. ألقت بحقيبتها على كتفها، نادت الكلب "كابي" وأطفأت أنوار منزلها.

– سنأخذ سيارتنا.

www.elromancia.com

لم يكن هذا اقتراحا من جانبها، إنما كان أمرا. وفي غير تردد اتجهت نحو سيارتها الـ"فورد".

كانت "لوري" بالاشتراك مع كلبها يكونان فريقا حيا يعمل في انسجام ومرونة. أما "جاريد" فكان يشعر بانه خارج اللعبة.

كان إهمالها له وتجاهلها لوجوده يبعث بالضيق إلى نفسه، في حين أن وجودها كان يحرك كل مشاعره، وضعت حقيبتها بعناية في حقيبة السيارة، وأجلست كلبها في المقعد الخلفي واستقرت أمام عجلة القيادة وهي تطلق صفيرا خافتا. جلس "جاريد" على المقعد المجاور لها، ربط حزامه ثم سألها وقد فرغ صبره:

– إلى أين نتجه؟

– إلى "ستونفورت".

عندما التفتت "لوري" للتحقق من الطريق– خلف السيارة– تلاقت نظراتها بنظرات "جاريد" للحظة خاطفة.

فرد "جاريد" ذراعه على ظهر مقعدها ثم ممسكا بفتحة كم الملبس البرتقالي قال مداعبا:

– أليس لي الحق أنا أيضا ؟

لم تلتفت إليه، لكنه فهم– من طريقة إمساكها بعجلة القيادة– أنها لم تتمكن من إنكار ذلك. فما كان منها إلا أن أفحمته بقولها:

– إنك الضحية. إذن ليس لك جيليه.

– في الواقع أني ضحية منذ أن عرفتك.

فرملت فجأة بقوة ثم– أخيرا– أمعنت النظر في عينيه قائلة:

– "جاريد" اسمعني جيدا، مستحيل.

– لماذا؟

– لأن... لأن...

كان "جاريد" يعلم لماذا كانت "لوري" مفتقرة إلى الكلمات التي لم تسعفها... لأنها كانت لا ترغب في الاسترسال، وترغب في نسيان كل ما كان بينهما حتى القبلات. لكنه سيعرف كيف يذكرها بكل هذا، وان يدفعها إلى الاشتياق إليه كما هو مشتاق إليها وراغب فيها.

قال مطمئنا إياها:

– إن الأمور ستسير على أحسن وجه. أخبريني حاليا بما يجب عليّ القيام به.

– هل أنت جاد؟

– تماما.

استرسلت "لوري" في شرح واف وكان هو بصفته خبيرا بالأمور يقدر الإيجاز والوضوح اللذين كانت تستخدمهما أثناء إدلائها بتعليماتها، وأيضا– بصفته رجلا– كان يراقب الطريقة التي كانت تعضّ بها على شفتها عندما تفكر، متأثرا برخامة صوتها ورقة عطرها.

كانت "لوري" متحمسة للتدريب لكن حماس "جاريد" كان أقل من حماسها بالتأكيد. كانت الفتاة ترغب في أن يتعمق "جاريد" في الطبيعة، وأن يتوه فيها أي أن يقوم بدور المفقود.

كان هذا في الواقع ما كانت قد أفهمته له بسرعة منذ لقائهما؛ إذ كان ينبغي أن يجتاز "جاريد" مسابقة، وأن يكون هو هدف البحث والإنقاذ؛ لذلك كان عليه أن يرحل، ثم بعد ساعة كان على "لوري" و"كابي" أن يعثرا عليه.

كان هذا هو رجاؤه أن يقضي فترة الصباح في صحبتها، لكن ما إن وصلا إلى مقر العمل حتى أصبح من اللازم أن ينفصلا لعدة ساعات، وهو الأمر الذي كان لا يرحب به. كانت تتكلم بإسهاب. مد يده ووضعها على شعرها، كان ناعما، حريريا كما كان يتذكره. ثم انتقل بيده إلى عنقها وشعر بنبضات دمها تحت الجلد.

– لماذا تقوم بذلك؟

سحب يده فجأة.

استطردت:

– إنها نفس الحركة التي قمت بها عندما كنا نبحث عن ابنة أختك.

– مسألة عادة.

– هل تقيس نبض كل الناس؟

شعر "جاريد" بانه سخيف.

– لا . لا بالمرة. كنت معتادا أن أعد نبض زوجتي السابقة، كانت تعاني ضعفا في القلب لكنها لا تريد أن تكون عبئا. كانت أحيانا تقوم بجهود تفوق طاقتها، وكان عليّ أن أختبر مدى كفاءة قلبها.

– ولكني في أتم صحة.

– لا أشك في ذلك.

ضغط "جاريد" بأصابعه من جديد على عنقها، وقال مبتسما:

– نبضك سريع جدا.

– من عادتي أن أنفعل قبل البدء في بعض التدريبات.

لاطف وجنتها بظهر يده قائلا:

– إن هذا الإحساس مشترك بيننا. أنا أيضا أنفعل قبل التمرينات.

– أرجوك يا "جاريد" إنك تمنعني من التركيز.

وكان هذا بالضبط ما يريد.

– هل أخبرتك بأنك رائعة هذا الصباح؟

– يجب علي خاصة أن أكون قوية، ولكن كيف تمكنت من الحكم على مظهري ومازالت الدنيا ظلاما؟

– لقد رأيتك عندما فتحت الباب. إنك قوية، وجميلة.

عملت "لوري" حينئذ على تغيير مجرى الحديث غير أن صوتها وكلماتها المتقطعة كانا يكشفان عن تأثرها:

– من الأفضل لك أن تدرس الخريطة الموجودة في صندوق القفازات، أضئ مصباح السقف، واهتم بالمنطقة التي حوطتها باللون الأحمر. كم أتمنى أن تتبع طريق الخط الحديدي لفترة مناسبة. أريد معرفة ما إذا كان هذا يناسب "كابي"، وما إذا كان هناك مكان به نهر يمكنك أن تعبره.. عندئذ أرجو ألا تتردد.

ثم بعد لحظة تردد استطردت:

– اعمل يا "جاريد" على العدو في الحقول واختراق الغابات والتعمق فيها، واعمل أيضا جاهدا على إخفاء معالمك وآثارك.

– وإذا نجحت في ذلك؟

– في هذه الحالة سيحصل الكلب "كابي" على صفر.

ضحكت "لوري" وكانت ضحكاتها ساخرة مما جعل "جاريد" يتساءل عما إذا كانت تعتزم العمل– عمدا– على فقده... أحست بقلقه، فعادت إلى جديتها:

– لا تخش شيئا ساعطيك بوصلة، وها هي الخريطة معك. كما أنه يوجد في هذه الدائرة طريق أو مزرعة على مسافة تقل عن كيلو مترين لكن تجنب السعي إليها... توقف في تمام الساعة الثامنة حيثما توجد، وأتعشم أن يكتشفك "كابي" في تمام التاسعة؛ وبذلك يصبح في إمكاني التواجد في البوتيك في العاشرة صباحا، أي مع موعد فتح المحل... وأما في حالة عدم حصولك في الساعة الحادية عشرة على أي إشارة منا فعليك بالعودة إلى السيارة.

– ألم أخبرك بأني غير مدرب على استخدام البوصلة؟ كان والداي يبعثان بي في معسكرات للكشافة بانتظام، وكنت دائما أخفق في اختبارات البقاء. إني معرض لأن أدور حول نفسي خلال ساعات قبل الوصول إلى السيارة.

– لا ينقصك إلا هذا!

– ويهمك أن تعثري علي.

*****

ثم فور أن أوقفت "لوري" مفتاح التشغيل انتصب "كابيتين" مصدرا أنات ضيق. حكت له الفتاة رأسه قائلة له أن يبقى لحظة أخرى... عاد الكلب إلى النوم بكل هدوء.

قفز "جاريد" من السيارة ثم تمطى.

كانت "ستونفورت" عبارة عن مركز محاط بغابات ومراع، تقطعها شلالات منحدرة من جبال "شاوني"، وكانت تمتد أبعد من هذا المكان منطقة البحيرات حيث تعلم جد "جاريد" حرفة صيد الأسماك.

كانت "لوري" قد ركنت السيارة إلى جانب حقل... وكان في إمكان المرء من هذا المكان مشاهدة مباني مزرعة. كان هلال القمر يأخذ في الزوال أعلى الهضاب ومطلع الفجر يهب إلى المنظر الريفي طابعا مثيرا للقلق..

اقشعر "جاريد" عند سماع نباح كلب عن بعد.

– في بادئ الأمر ستحتاج يا "جاريد" إلى مصباح كهربائي.

قالت "لوري" هذا، وأسرعت بإخراج المصباح من حقيبتها السحرية.

– وهذه أيضا زمزمية ماء.

ثم أضافت:

– آه! هذه عدة إسعافات أولية بها كل ما قد تحتاج إليه، حتى في حالة لدغ الثعبان. وهذا أيضا مبيد للناموس.

أردف "جاريد" مازحا:

– يا لها من أفكار لطيفة! ويا له من تشجيع!

– إن الوقاية أفضل من العلاج.. هذا كيس صغير من التيل لتضع فيه كل ما تحتاج إلى وضعه. هل من شيء آخر يكون نافعا لك؟

– قبلة.

– لا جدال في ذلك.

أطلقت "لوري" ضحكة عصبية، وكاد "جاريد" بالرغم من نصف الظلام يحلف أن الحمرة لابد أن تكون قد علت وجنتيها.

كانت فكرة القبلة تثيرها لكنها كانت تعمل على الامتناع عنها، وكان في وسع "جاريد" إجبارها عليها، لكنه لم يشأ إفساد فرصة لسبب كان يجهله.

كانت مقتنعة بأن عليها أن تفقد كل شيء لمعرفته أكثر، وكان عليه إذن أن يثبت لها عكس ذلك.

– في هذه الحالة...

ثم توقف عن الكلام وبلهجة جادة سألها:

– "ستونفورت" من هنا، من حيث أتينا. أليس كذلك؟ وأنت ترغبين في أن أضل الطريق من هنا، أمامنا؟

– بالضبط.

كانت هناك أمور عدة يتمنى القيام بها مع "لوري": أن يشردا معا في غابة قد غزتها الحشرات والثعابين لم يكن واحدا منها بالتأكيد. لكنه كان قد وعد.

– إذن إلى ما بعد.

دار على عقبيه واتجه نحو الحقول.

– انتظر!

ظن "جاريد" – من هذا النداء – أن الدافع عند "لوري" هو الندم والرغبة في عودته بالقرب منها، وأن يلمسها، تماما كما كان هو لا يرغب في تركها بمفردها.

وقد استنار وجهه من السرور فرجع. قالت:

– إني محتاجة إلى شيء خاص بك؛ لكي أجعل "كابي" يشتمه. حينئذ اختنقت توقعاته في حلقه وكأنه ينتحب، فقال في نفسه: إن عليه أن يستشير طبيبا نفسانيا؛ لأن ذهنه قد ارتبك منذ أن قابل هذه الفتاة الضئيلة... قد تفيده مسيرة طويلة في الغابات. بعد ذلك أخرج "جاريد" حافظة نقوده من جيبه ومد يده بها إلى "لوري".

سألته قلقة:

– هل أنت واثق؟

– إما هذه أو قميصي وبنطلوني.

– حسنا.

قدمت له كيسا من البلاستيك لكي يسقط فيه الشيء المطلوب، ثم ملقيا نظرة إلى ساعة يده قال معلقا:

– إنها السابعة تقريبا. حمدا لله. لقد بدأ النهار في الارتفاع. هل من مطالب أخرى؟

– لا.

قبل أن يخطو ثلاث خطوات أردفت:

– انتبه يا "جاريد"، إنه مجرد تدريب. لا ترتكب أخطاء.

وكان أكبر خطأ ارتكبه هو التعلق بفتاة لا ترغبه!

أجابها:

– سأنتبه جيدا.

كيف يثبت لفتاة أنه لا هو متسلط، ولا متملك في الوقت الذي اقتنعت هي بذلك؟

بدأ "جاريد" مسيرته وهو يدير هذه المسألة في رأسه.

كانت وقتئذ الطبيعة تستيقظ من حوله؛ فهذا صقر يبحث عاليا في السماء عن فريسة، وذلك سنجاب يمر أمامه مثل السهم.

كان من الصعب تخيل أن في استطاعة أحد أن يمتلك "لوري". كانت هذه الفتاة تتمتع بشخصية قوية بالرغم مما كانت تبدو عليه من ضآلة القوام.

أما بالنسبة للامتلاك، فهو كان يتحدى أي رجل آخر بالا يرغب في الحصول على هذه المخلوقة الرائعة. لقد كانت حقا كنزا ثمينا جديرا بالاحتفاظ به مصونا. كانت ابتسامتها أشبه باول شعاع للشمس في الصباح الباكر، وضحكتها كنسمة صيف.

بعد أحد عشر يوما وعشر ليال، كان "جاريد" مازال يتذوق طعم قبلاتها التي بسببها ارتقى رجل الأعمال ذو الثمانية والثلاثين عاما الذي يحب رياضة الجولف والسباحة أن يتوه مع مطلع الفجر في غابة غير مطروقة. لقد فقد عقله.

عند سماع صوت المياه، تفحص "جاريد" الخريطة وابتعد عن طريق السكة الحديدية لكي يجد المجرى المائي. وعندما وصل إليه كانت أشعة الشمس تنعكس عليه... سار بجواره إلى أن وجد معبرا اخترقه ثم اتخذ طريقا يصل إلى أكثر الغابات كثافة. هناك كانت النهاية.

وبدلا من أن يعود "جاريد" إلى نقطة البدء في اتجاه مضاد، قرر الاستمرار في مسيرته وسط شجيرات العوسج. في تمام الساعة الثامنة تحقق من أنه لا يسعى إلى القيام بعملية يمثل فيها أنه قد ضل الطريق. بل إنه فعلا قد ضل طريقه. لقد فُقد "جاريد".

لا بوصلة ولا خريطة ستعمل إذن على مساعدته. إذ بم يفيده مؤشر البوصلة حينما يبين له جهة الشمال، إذا كان لا يعرف أين هو؟ قام بوضع الآلة في الكيس، بحث عن قطعة لبان أو قطعة حلوى؛ إذ كان لا يرغب في تناول السميط. مع ذلك كان "جاريد" منذ أن كف عن التدخين يتناول أي شيء يقع تحت يده، وكان من حسن حظه وبفضل الرياضة التي كان يمارسها عدم إصابته بالبدانة. والآن أصبح لا يشتاق إلى تدخين سيجار إلا

إذا شعر بالضيق... أو إذا ضل الطريق. وعامة كان يكتفي بقطعة حلوى.

وجد قطعة كراميل وسيجارا، لابد أن يكون هذا السيجار موجودا بالبنطلون منذ شهور؛ لأن لون الورق قد مال إلى الاصفرار، وجزءا من التبغ كان قد نقص منه لم يكن شهيا.

أخذ "جاريد" يديره بين أصابعه متسائلا كيف يصبح المرء أسيرا لهذه العادة التي كان قد بذل جهودا قوية للتخلص منها بعد أن كان قد تعلق بها تشبها بأبيه. لم يسمح "جاريد" لنفسه بإلقاء تذكار العبودية هذا إنما وضعه في جيبه واكتفى بقطعة الحلوى.

ثم رأى أثناء تجواله شجرة مقطوعة إثر عاصفة قوية، تأكد من أن الحشرات والزواحف لا تحتمي في هذا الجذع، فجلس عليه سعيا إلى الراحة التي كان ينشدها.

تخلص من حذائه ومن جوربه، وإذا ببقع حمراء على قدميه تؤكد مخاوف "لوري".

أخرج حينئذ من حقيبة الإسعافات غيارات، قام بوضعها على الأماكن المصابة ثم أعاد وضع جوربه وحذائه.

كانت من فوقه العصافير تغرد والذباب يطن... وها هو شعاع الشمس قد اخترق أوراق الأشجار ملاطفا جبينه فاستسلم "جاريد" إلى نعاس قد استبد به.

*****

لم يصدق عينيه. كانت "لوري" تتقدم نحوه وهي تضحك في هدوء، وتفتح له ذراعيها. وكأن الفتاة كانت لا تمشي إنما تطفو لكي تقدم نفسها له.

نادته بصوت خافت:

- "جاريد".

لم يجبها إنما رفعها لكن وزن أطرافها لم يكن طبيعيا. ثم شعر بقبلتها. ولما اختفى ثقل جفنيه اكتشف في ذهول فم "كابي" ملتصقا بفمه، وعن بعد كانت "لوري" في ملابسها باللونين الكاكي والأصفر، وكان شعرها

مضموما إلى الخلف كما تركها تماما. كان "جاريد" يحلم.

لم يتمكن من إخفاء تأثره الذي لاحظ أنه لم يخف على "لوري" ثم في خجل لاطف الكلب قائلا:

– لقد عثرتما علي.

– لقد تطلب هذا التدريب وقتا أطول من المتوقع. لقد أنجزت عملا جيدا، لقد تصرفت كمن ضل الطريق حقا.

لم يجد "جاريد" أي مبرر لإخفاء أنه كان فعلا قد ضل طريقه في النهاية... نهض وتمطى ثم نفض ما كان عالقا بملابسه من أغصان صغيرة وأوراق الأشجار. لاحظ أيضا أن "لوري" لا تبعد نظرها عنه. ولما اكتشفت أنه لاحظها حولت النظر إلى كلبها.

– حسنا "كابي". إنك كلب ممتاز. هيا بنا نلعب الآن.

ألقت إليه بعصا، فأخذ الحيوان يجري خلفها. قالت موضحة:

– إنها مكافأته في كل مرة يعثر فيها على ما طلب منه البحث عنه. خمس دقائق بالضبط ثم نعود.

– أرجوك.

سر "جاريد" لمنظرها وهي تلعب مع هذا الحيوان اللطيف. سألها:

– ألم يسبق لك تلقينه القيام ببعض الألعاب؟

– إنه يعرف كل أوامر القاعدة، غير أني لم أجد أبدا الوقت الكافي حتى أجعل منه أحد كلاب السيرك. غاية ما هناك لقد علمته عندما كان صغيرا كيف يعطي قدمه، وكيف ينزع سيجارا من فم المدخن.

– أتمنى رؤية هذا.

– أن يعطيك القدم؟

– لا، أن يأخذ السيجارة من فمي.

– لم أتوصل إلى جعله يجيد هذا التدريب.

عاد الكلب إليها فأخذت تدلله بملاطفة عنقه.

استطردت:

– كم أردت القول: إن التدخين عادة سيئة. وتدريب "كابي" ليقفز بخفة لانتزاع السيجارة بمهارة من فم المدخن قبل أن يبدأ في إشعالها.

– إذا كنت قد أحسنت الفهم فإنك إذن تكونين ضد التدخين؟

– لقد دخنت كثيرا وتأكدت أنه ضار جدا بالصحة.

ألقت بعد ذلك بالعصا إلى بعيد، لكن "كابي" لم يهتم بملاحقتها، بل كان جالسا أمامها، ولا يبعد نظره عنها ويكنس الرمل بذيله في تشكيل.

– ماذا تريد يا صغيري؟

أصدر الكلب أنينا وهو يمد لها قدمه.

– بالتأكيد وجب أن أشد على يدك يا "كابي". ثم جثت على الأرض، أمسكت بقدمه ثم حوطت عنقه بذراعيها وهي تهمس له في أذنه بكلمات ملاطفة وتدليل.

فهم "جاريد" بسهولة أن علاقة "لوري" و"كابي" ليست علاقة حيوان بسيده. إنما كانت تعبر عن إحساس مشترك نشأ من فترات سعادة وخطر قضياها معا. بعد قليل نهضت "لوري" واقترحت أن يعودا.

وضع "جاريد" يده في جيبه بحثا عن قطعة حلوى أخرى... وكان كل ما وجده هو السيجارة التي أخرجها متسائلا: إذا كان سيجد الشجاعة الكافية لإلقائها للأبد.

رأى "كابيتين" ينطلق، وشعر "جاريد" بصدمة في صميم صدره.

الفصل السادس

– "جاريد" أرجوك افتح عينيك. كلمني...

وكان "جاريد" يفضل سماع كلمات القلق التي كانت تجعل صوت "لوري" مرتجفا، وأيضا يفضل أن يشعر بوجود يدها على جبينه.

كررت:

– أرجوك.

كانت الحجارة تسبب له آلاما مبرحة في ظهره كما أنه كان يعاني صداعا فظيعا، وكان رأسه يؤلمه بشدة لكنه كان لا يشك في أنه سيعود إلى الحياة.

رفع جفنيه ببطء لكن ضياء الشمس أجبره على غلقهما ثانية... ولم يتمكن من تمييز وجه "لوري" المنحني عليه إلا بعد محاولات عديدة. كم كان وجهها جميلا! أهو وجه ملاك أم وجه إنسانة ساحرة جذابة؟ وكان "جاريد" لا يطلب أفضل من أن يدع نفسه تحت تأثير سحرها. أو أن يمارس سحره عليها. وأخيرا نطق:

– هيه!

حينئذ تنهدت الفتاة بعمق:

– تبارك الله. إني حزينة. لست أدري ما الذي أصابه.

وإذا بوجه "كابي" الأسود يتوسطهما. ثم أخذ يلعق وجنة "جاريد" ولم يكن هذا ما كان يتمناه هذا الأخير... إذ إنه في الوقت الذي كان يرغب فيه في الحصول على قبلة من "لوري"، يجد نفسه للمرة الثانية واقعا تحت حنان هذا الكلب... رفع "جاريد" ذراعه لكي يحمي وجهه.

أبعدت "لوري" كلبها وأردفت:

– إنه قلق. إنه لا يرغب في إلحاق اي ضرر بك.

لم يقتنع "جاريد" بذلك. من جانبها كانت "لوري" تعرف جيدا أطوار ومشاعر الكلاب. أما هو فلا... لكن.. عند رؤية الكلب وهو يهز ذيله في مرح يستطيع المرء أن يحكم بان الكلب قد سر لإيقاع "جاريد". وضعت "لوري" يدها خلف رأس "جاريد"، وغفلت عن الكلب، وكان "جاريد" يرغب في تمثيل دور المقاتل الجريح.

– هل تشعر بالم؟

أصدر أنينا لا يعبر عن الألم. مالت عليه أكثر بحيث يستطيع "جاريد" وضع شفتيه أسفل عنقها... كانت تبعث إليه بالدفء، وبالنضارة كما أنها كانت تفيض أنوثة. عندئذ ابتسم "جاريد" لها لم تؤثر السقطة على ذاكرته.

جلست "لوري" القرفصاء. رفعت إصبعين وسألته:

– كم إصبعا ترى؟

– اثنان.

رفعت واحدا آخر.

– والآن؟

– ثلاثة وعينان جميلتان، وأنف دقيق لذيذ، وشفتان رائعتان، وعنق لا يقل روعة.

– قليل من الجدية يا "جاريد". الك ميل للقيء؟ هل تشعر بثقل في أطرافك؟

– إنني جاد تماما.

نهض وجلس. بقدر ما كان قلق "لوري" بشأنه جذابا بقدر ما عمل "جاريد" على القيام بدور المريض، ولما أخذ كفايته من ذلك أضاف:

– أشعر الآن أني على ما يرام.

ولما حاول الاقتراب منها أكثر أمسكت بكتفه؛ لكي تبعده عنها وسألته:

– هل تشعر بالدوار؟

– لا.

– ساضع لك ضمادة.

وقبل أن تجد "لوري" الوقت الكافي للوصول إلى كيسها الإعجازي، كان "جاريد" قد أمسك بمعصمها.

وصاح

– "لوري" غاية ما في الأمر أني أعاني ورما بسيطا في مؤخرة رأسي... انتظري يا "لوري" إن نبضك سريع جدا.

– لأني قلقت كثيرا بشانك. هل فقدت الوعي؟ أعتقد أنك فقدت وعيك يا "جاريد".

www.elromancia.com

– لم يكن ذلك لفترة طويلة. أليس كذلك؟

– لمدة دقيقة أو اثنتين، لكنهما الدهر بالنسبة لي.

– إني عنيد، وسأمر بهذا الموقف، وبقبلة ساكون معافى تماما.

سحبت "لوري" يدها من تحت رأسه وانتصبت:

– إنك على حق.. إنك أكثر غباء وإصرارا عما قبل.

أما "جاريد" فقد وجد صعوبة لكي ينتصب على أي حال، أن يقلب من كلب وزنه خمسون كيلو جراما ليس بالأمر السهل. لقد اهتز كيانه؛ لأن جمجمته وقعت على حصوة. لمس الجزء المصاب ومط شفتيه.

وكانت "لوري" تراقبه وقد بدا عليها القلق اقترحت:

– أرى أنه من الأفضل أن نجلس.

كانت تعامله كشخص عليل، الأمر الذي كان كبرياء رجولته ترفضه.

– لا. إني الآن أشعر بالارتياح. كما أنه من المفروض أن تتواجدي أمام محلك في تمام العاشرة. وها نحن قد تأخرنا كثيرا.

بعد مسيرة بضعة أمتار ندم "جاريد" على الحديث المليء بعبارات المبالغة. كان رأسه يؤلمه وفقاقيع قدميه تعود إلى ذاكرته. لحسن الحظ كانت "لوري" قد أخبرته بأن السيارة ليست بعيدة جدا.

كانت "لوري" تقود هذه المسيرة، وكان هذا من دواعي ارتياح "جاريد".

وحتى قبل سقوطه لم تكن لدى "جاريد" أدنى فكرة عن طريق العودة إلى نقطة الانطلاق. وكان قد اضطر إلى الدوران حول نفسه لفترة ليست بالقليلة.

وكانت "لوري" – أثناء الطريق – لا تكف عن إلقاء نظرات خاطفة من الخلف؛ لكي تتأكد من أن "جاريد" في حالة طيبة. كان هذا الأخير يفهم أنها تحققت من أنه يعرج بعض الشيء على الأقل، وجدت "لوري" أنه ليس من اللياقة أن تلفت نظره إلى أنها سبق وحذرته بشأن الحذاء الجديد في الواقع، إنها لم تتحدث أبدا عندما اتسع الطريق بحيث صارا يستطيعان السير جنبا إلى جنب. وأخيرا قطعت هذا الصمت بقولها:

– أعتقد أنك أخبرتني بأنك لم تعد تدخن.

– بالضبط.

– لماذا إذن أخرجت هذه السيجارة من جيبك؟

– كنت قد وجدتها فيه وعزمت على إلقائها.

– إني ألوم نفسي؛ لأني دربت كلبي على هذا الدور السخيف. لابد أنك تألمت جدا.

– لقد فاجأني. هل يقوم بذلك كلما رأى أحدا يدخن أو يشرع في التدخين؟

– أبدا. إنه لا يفعل ذلك إلا إذا سمعني أقول: إن التدخين عادة سيئة.

نبح "كابي" وفي الحال أتى ووقف أمام "جاريد" وأخذ يزمجر. حينئذ صاحت "لوري".

– يا إلهي! عندما سمعني أردد هذه العبارة اعتبرها أمرا وها هو يستعد للهجوم مرة ثانية.

أمرته "لوري":

– لا يا "كابي" لا.

وقد تظاهر بالفزع، قدم "جاريد" يديه فارغتين إلى "كابي".

– إنك ترى جيدا أنها فارغة!

لقد أفادت سنوات تدريب في جعل الكلب يطيع، ثم يهتز بشدة ويدور حول سيدته.

– يا لها من فكرة عجيبة دفعتني على تلقينه ذلك! إنها غلطة "جريج".

هكذا صرحت "لوري".

قال:

– زوجك السابق؟

– نعم. كنت أتصارع معه عندما كان يأتي عندي، ويلوث مسكني. لقد امتنعت عن التدخين يوم أن تركت "جريج"، ومنذ ذلك الحين وأنا لم أعد أحتمل رائحة التبغ.

– منذ متى تم طلاقكما؟

– منذ ست سنوات.

– وكم سنة دامت فترة زواجكما؟

ترددت- كمن تقوم بعملية حسابية سريعة بذهنها- ثم قالت:

- لنقل ثلاث سنوات. كنت مغرمة به، ثم كبرت.

- هل كان شريرا؟

- "جريج"؟ أوه لا.

ابتسمت ثم غيرت مجرى الحديث:

- المهم الآن هو ما قد تم هذا الصباح. بعد أن تركتنا بالقرب من السيارة، ماذا فعلت؟

على قدر استطاعته أخذ "جاريد" يسرد- بوضوح- خط سيره منذ لحظة مغادرته لها وحتى اللحظة التي فاجأته فيها وهو نائم.

كان يساور "جاريد" إحساس بأن "لوري" تتمنى مزيدا من التفاصيل عن روحاته وغدواته، لكنه كان لا يستطيع الإفصاح لها بأن كل فكره كان منحصرا في الطريقة التي يمكنه أن يسحرها بها، وأن يستميلها إليه.

- إذن هكذا قد فقدت فعلا يا "جاريد". ولو كنا تأخرنا في العثور عليك؟

- لم أكن لأبتعد عن شجرتي.

إجابة استحقت علامة استحسان. ثم- على طريق العودة- شرحت له "لوري" بالطول وبالعرض كل ما قام به "كابي"؛ لكي يتبع أثره... كانت قد سجلت على مفكرة الساعة، درجة الحرارة وكل الملاحظات المهمة عن تصرفات الكلب. حينئذ فهم "جاريد" مدى أهمية هذا التدريب بالنسبة لها، غير أنه استنتج أيضا من كل ذلك أنها كانت تتجنب- بهذه الطريقة- التطرق إلى نظريات أخرى وأساليب خاصة.

وعندما ركنت سيارتها إلى جانب الرصيف، ألقت نظرة على ساعتها وقالت:

- لقد تأخرت كالمعتاد. لحسن الحظ فإن "ريث" مهتمة بعمليات الإنقاذ. وإلا كانت أعادت إلي حافظتها بسرعة.

- أحقا لديك عمل الآن؟

- نعم.

لكنها لم تبد استعدادا لفتح باب السيارة، ولا "جاريد" أيضا.

واتخذ "جاريد" وضعا آخر؛ لكي يتمكن من مشاهدتها بطريقة أفضل. كانت رائعة حتى بعد قضاء فترة الصباح في ممارسة الرياضة. كانت خصلات من شعرها تتدلى على جبينها وعلى وجنتيها. كما أن عينيها كان لهما نفس البريق. وشفتيها نفس الجمال بالماكياج أو بدونه. كلما كان "جاريد" معها أحس بها ووجدها جذابة ومسلية.

- أنا..

هكذا بدآ الكلام معا في نفس اللحظة؛ مما جعلهما ينطلقان في الضحك.

اقترحت "لوري":

- أنت أولا.

- كنت أريد أن أقول: إني قد حصلت في هذا الصباح على قسط كبير من التسلية والمرح.

- بالرغم من تصرفات "كابي"؟

- وجب ألا نكرر ذلك. لكن إذا شئت أن أتوه فيكفيك أن تناديني.

- سأتذكر ذلك.

علم "جاريد"- من طريقة نطقها بهذه الجملة- أنها لن تعمل شيئا من ذلك. أصبح الجو حارا داخل السيارة ذات الزجاج المغلق. كان "جاريد" يسمع الكلب وهو يلهث على المقعد الخلفي وصدر "لوري" يرتفع بسرعة أكثر فأكثر.

بكل حذر، فرد "جاريد" ذراعه ولمس كتفها سرا؛ اتسعت عينا الفتاة، لكنها لم تقل شيئا.

سألها:

- ماذا ستعملين هذا المساء؟

- سأتناول العشاء مع "ريث" وزوجها؛ إنها ترغب في أن نناقش موضوعا مهما.

- إذن. غدا. سيكون الطقس حارا. سيكون في إمكاني المرور عليك في تمام الساعة الواحدة بعد الظهر، سيمكننا ممارسة السباحة، وقضاء فترة بعد الظهر بالقرب من حمام السباحة؛ بذلك نمنح أنفسنا فرصة للاسترخاء.

أخذ "جاريد" يمني نفسه؛ إذ لم يكن قد لاقى رفضا حتى الآن. كان قد ركز على كلمة الاسترخاء. لكن من البديهي أنه كان لا يهدف إلى ذلك ولا يفكر فيه.

أخذت "لوري" تحول نظرها من عينيه إلى شفتيه، مما جعله مستعدا لأن يقسم بأنها فهمت، عندما مرت بلسانها على شفتيها. ولما كان يتاهب للحصول على هذا الفم اللطيف اللذيذ إذا بأنف رطب يدفع بذراعه. أحس أن الكلب ينظر إليه بطريقة ساخرة.

وأخيرا فتحت "لوري" باب السيارة وهي تصيح:

– لا! وجب حقا أن أعاون "ريث".

كرر "جاريد" ملحا:

– إذن إلى الغد؟

ألقت إليه "لوري" نظرة عميقة وهزت رأسها.

– لا. لا ينبغي ...

– لا ينبغي؟

– لا أستطيع.

ثم خرجت من السيارة وأخرجت كلبها.

خرج "جاريد" بدوره، وتسمر أمامها. ثم انفجر:

– لا ينبغي. غير ممكن... إنها ليست أسبابا قوية يا "لوري" لماذا؟

بكل ثبات تناولت حقيبتها. و.. دون أن ترفع عينيها أجابت:

– إنك تعلمه.

اتجهت نحو المحل. ثم بقفزة وبخطوات ساقيه الطويلتين لحق بها "جاريد".

أردف:

– وجب أن توضحي لي.

ثم أمسك بذراعها؛ لأنه خشي أن تختفي قبل أن تكون له فرصة سماعها.

– "لوري". توقفي، انظري إلي.

أطاعته رغما عنها:

– هذا كان لليوم فقط. أليس كذلك؟

– نعم. عدا أن كلبي كاد يقتلك.

– أنا لم أقم بما يثبت التسلط، ولا قلت ما قد يضايقك.

– لا.

– لم أحاول القيام بالمبادرة ولم أخبرك بما كان عليك أن تعملي؟

– لا.

لقد رأى "جاريد" الحقيقة من خلال تعبيرات عيني الفتاة. كانت "لوري" منجذبة إليه ومتضايقة منه في نفس الوقت.

– "لوري"!

قالت:

– لا يقع في نفس الفخ إلا من يكون معتوها.

– إنك لست مجنونة يا عزيزتي.

إنما المجنون كان هو. أو على الأقل من يتصرف مثله منذ لحظة لقائه بها.

– أنا.. أنا... كان لا ينبغي علي أن أقبل عرضك اليوم. لقد قلت لك– منذ البداية– إني لا أرغب في الارتباط بك.

– إنك لا تعرفيني.

– هذا لا يهم.

فتحت باب البوتيك والتفتت قائلة:

– أشكرك على مساعدتك لي. إنها المرة الأخيرة التي نلتقي فيها.

أسرع الكلب بالدخول، وهمت "لوري" أيضا بذلك غير أن "جاريد" وضع يده على الباب مانعا بذلك مرورها.

– ما هذا التصرف؟ لماذا ترفضين دعوتي؟ ما الذي تبغين إثباته؟

– إني أقف على الأرض السليمة.

– بالهروب؟ بإنكارك ما تشعرين به؟

– أنا لا أهرب، المعذرة. لا أستطيع موافاتك بأي شرح. هذا لا صلة له بك بتاتا، إنها ليست غلطتك؛ إنما لأنه يذكرني بشخص معين.

– زوجك السابق؟

– نعم.

– هل أساء إليك إلى هذا الحد؟

– لا. إنما أنا التي أسأت إليه.

حاولت بعد ذلك دفعه لكي تمر، وبصوت بدا فيه الملل ختمت كلامها بالآتي:

– ليست لدي أي رغبة في التحدث عن ذلك. "ريث" تنتظرني ووجب أن أعمل.

وكان في إمكانه إرغامها على إعطائه فرصة للدخول. لكنه رآها في أقصى درجات الانفعال، وأن تصرفه هذا سيدفع الأمور إلى ما هو أسوأ، سيترك لها فرصة حتى الغد حتى تفيق، وعندما وصل إلى سيارته بحث عن مفاتيحه وتذكر فجأة أن "لوري" معها شيء يخصه. إذن فإنه لا يستطيع الانتظار حتى الغد لكي يراها.

توجه لكي يرن جرس باب الشقة. ولما أجابت بعد ثاني دقة من الجرس لاحظ أنها كانت تبكي؛ لأن الدموع مازالت تلمع في عينيها ومع ذلك تجمدت عندما رأته:

– ماذا تريد؟

– حافظتي.

– كيف؟

– حافظتي. لقد أعطيتها لك لكي يشمها "كابي" وهانذا محتاج إليها حاليا.

– أوه! أمر طبيعي.

أدارت له ظهرها وسارت نحو المكان الذي وضعت فيه حقيبتها، كانت قد خلعت الجيليه، وأخرجت الـ"تي شيرت" من البنطلون، وبينما كانت تحضر ما طلبه "جاريد" منها دخل هذا الأخير وأغلق الباب خلفه بعناية:

– ما الذي يخيفك مني يا "لوري"؟

انتصبت الفتاة وبيدها حافظة النقود وأخذت تضرب جفنيها.

– إنك تشبه "جريج".

– لكني لست "جريج". أنا "جاريد نورث". رجل تقابلت معه منذ أقل من أسبوعين. رجل لا تستطيعين ادعاء معرفته.

اقترب منها، وضع يديه على كتفيها الهزيلتين.

– "لوري" أعطيني فرصة. ثم مال وكانت "لوري" بين ذراعيه رقيقة، بلا دفاع، كائنا صغيرا، يحميه ويحبه. وضعت كفها على صدره، ظن "جاريد" أنها ستبعده عنها لكنها أمسكت بقميصه. ثم تمتمت هامسة:

– لماذا لا أستطيع مقاومتك؟

– لأني لا أرغب في ذلك.

لم تبد "لوري" بعد ذلك أي اعتراض عندما قام بتقبيلها.

جلسا بعد ذلك على الأريكة صامتين. إلى أن تجمد "جاريد" عند سماع زمجرة "كابي".

كان قريبا منهما، فمه على بعد بضع سنتيمترات من وجه "جاريد"، هكذا وقف الحارس الألماني يراقبهما.

تمتم "جاريد":

– "لوري"؟

كانت الفتاة قد أغلقت عينيها. ثم دون أن يبعد نظره عن هذا الحيوان الأمين كرر "جاريد":

– "لوري"؟

أدارت رأسها كما لو كانت في حلم، فتحت جفنيها قليلا، وقالت للكلب:

– لا يا "كابي"، لا ليس الآن. أنا لا أرغب في اللعب.

زمجر "كابي" ثانية، ولم يبعد نظره عن الرجل. حينئذ تدخل "جاريد":

– لا أعتقد أنه يفكر في اللعب. إنه يقصدني!

– إنه لا يعمل ذلك أبدا.

– لقد سمعت زمجرته جيدا.

لم يتحرك الحيوان:

نهضت "لوري" وأردفت:

– هيا يا "كابي" تعال.

ثم أضافت متوجهة إلى "جاريد":

– لابد أنه ظن أنك ستلحق بي أي أذى.

ثم قالت للكلب:

– إن "جاريد" لا يعمل لي شيئا لا أرغب فيه يا ولدي.

هز "كابي" ذيله، لكنه استمر في مراقبة "جاريد".

وأخيرا أشارت "لوري" إلى غطاء على الأرض وقالت بلهجة الأمر:

– "كابي" أرقد هنا!

أطاعها الكلب بعد أن ألقى بنظرة تهديد إلى هذا الدخيل.

– ما بالكم أيها الذكور ترغبون في حمايتي؟ ها هو كلبي يقوم بذلك.

احترس "جاريد" من القيام بأي تعليق؛ لقد كان ممزقا بين الرغبة في حمايتها، والرغبة في امتلاكها، وكان هذا الجانب هو الغالب في هذه اللحظة.

استطردت "لوري":

– في الواقع، هكذا أفضل. لقد أحسن "كابي" بالتأكيد عندما عمل على تنبيهنا.

كان "جاريد" بعيدا كل البعد عن تأييد رأيها. ربت على وسادة مشيرا إلى الفتاة بالاقتراب منه.

ولما هم بالقيام زمجر "كابي". صاحت "لوري":

– كفى!

وعندما تأكدت من أن الحيوان لن يتحرك من مكانه مدت يدها إلى "جاريد" ونصحته:

– الأفضل أن تنصرف الآن.

نهض في حذر، وهو يراقب الحارس الألماني.

– الآن وجب أن تعديني بقضاء الغد معي.. بدون رفيقك ذي الأقدام الأربع إذا أمكن ذلك.

– لست واثقة من ذلك.

– امنحيني فرصة أستطيع من خلالها أن أثبت لك أني لست مثل زوجك الراحل.

قالت:

– وإذا كنت مشابها له؟

الفصل السابع

عندما أتى "جاريد" في تمام الساعة الواحدة من بعد الظهر لأخذ "لوري" استقبلته هذه الأخيرة بابتسامة فاترة. لكنه بالرغم من ذلك سر عندما رآها مستعدة، وأنها كانت في انتظاره؛ لأنه في الحقيقة كان يتوقع ما هو سيئ، كأن لا تتواجد، أو أن تنتحل عذرا جيدا.

قبل جبينها مهنئا إياها على ما كانت تبدو عليه من صحة جيدة ومزاج حسن. كانت ترتدي فستانا بدون أكمام ذا لون أحمر يبرز لون عينها وجمال ذراعيها.

ضحكت في عصبية وهي تقول:

– إننا نشبه العلم الفرنسي.

إذ كان "جاريد" يرتدي بنطلونا أزرق وقميصا أبيض.

– هيا بنا.

– فقط الوقت اللازم لتناول حقيبتي.

كان الكلب جالسا بالقرب من الحقيبة، يهز ذيله. أمرته "لوري" بألا يتحرك وقالت لـ"جاريد":

– إن "كابي" يميل إلى اتباعي في كل مكان. وضعت بعد ذلك نظارة شمس على أنفها كبيرة الحجم تعمل على الإقلال من حجم وجهها الدقيق، ثم تناولت حقيبتها، وأشارت إلى رفيقها بأن يتقدمها. تبعته وهي تتحدث إلى الكلب وأغلقت الباب... في هذه اللحظة سمعا ثلاث نبحات.

علقت "لوري" قائلة:

– إنه يطالبني بألا أتأخر كثيرا.

– أو بألا تثقي بي.

– وهل من ضرورة لذلك؟

هذا ما كان يتساءل "جاريد" في أعماقه إذ كان راغبا فيها، كما لم يسبق له مع أي فتاة أخرى. لكنه شخص ناضج لا يمكن أن يتصرف مثل صبي. قال:

– لن أقدم يا "لوري" على ما قد يسبب لك أي ضيق.

www.elromancia.com

فتح لها باب سيارته. تحسست جلد مقعدها وكفتاة مسرورة قالت:

– هيه. إنها أول مرة أستقل فيها سيارة "كاديلاك". إنه "شارلي" الذي سوف يدهش لذلك.

– "شارلي"؟

مرة أخرى اسم رجل.

وضحت له "لوري":

– زوج أمي. إنه يردد دائما بأنه يرغب في شراء سيارة "كاديلاك". غير أني أعلم تماما أنه لن يقود سوى السيارات الـ"فورد" حتى نهاية حياته.

كانت "لوري" تبدي اهتماما بالرسائل الإلكترونية التي كانت تكتب على شاشة التابلوه وتعلق قائلة:

– إن قيادة هذا الموديل لابد أن تكون مثل قيادة طائرة.

– بالضبط.

تفرست فيه ثم سألته:

– هل في إمكانك قيادة طائرة؟

– نعم قليلا. لقد حصلت منذ عدة سنوات على شهادة طيران.

ألقت بنفسها على ظهر مقعدها وهي تبتسم:

– يبدو أنك على حق. إنك تختلف عن "جريج". إنه لا يركب طائرة حتى لو كانت حياته متوقفة على ذلك، كما أنه ليست له كفاءة الإمساك بعجلة قيادة سيارة.

إثر ذلك ابتهج "چاريد" في داخله كلما وجدت "لوري" فرقا بينه وبين زوجها السابق كان هذا في صالحه... أو على الأقل هكذا كان يتعشم.

أدار مفتاح التشغيل، واتخذ الطريق المؤدي إلى مسكنه.

وكان لـ"نورتون" كسائر مدن جنوب الـ"إيلينوا" الصغيرة سحرها بمركزها التاريخي المزدان بمنازل يرجع تاريخها إلى بداية إقامة المزارعين في المستوطنات الأولى، وأحيائها ذات الطابع القريب من الطبيعة.

كانت الشوارع- في فترة بعد الظهر من يوم الأحد وكان صيفا- خالية تماما من الناس غير أن الأماكن المحيطة بالڤيلات كانت زاخرة بكم هائل من الأطفال يلعبون الكرة. والآباء الذين يعملون على تهذيب الحشائش

الخضراء (الجازون) بينما كانت الأمهات يتحدثن معا.

أما مسكن "چاريد نورث" فكان يقع في منطقة حديثة الإنشاء، ذات ترف بديهي، وحيث كانت المباني تفصلها مساحات خضراء واسعة أغلبيتها محاطة بأسوار عالية تحمي القائمين بها. أما "چاريد" بسبب ما كانت تعانيه زوجته من آلام - فكان قد أنشأ ڤيلا مريحة مشيدة من طابق واحد؛ لكي يجنبها مشقة صعود السلالم... كما أن النوافذ الواسعة التي كانت بها كانت تسمح بدخول الضوء، وأشعة الشمس بوفرة.

ترقب "چاريد" رد الفعل عند "لوري"، في اللحظة التي وضعت فيها قدميها في مسكنه.

كانت عيناها تتسعان مثل "آليس" في بلاد العجائب، وتكتفي بالتنهد.

سألها:

– هل تحبين هذا المكان؟

– نعم إنه رائع. إن عندك أيضا حمام سباحة داخليا.

– لقد حرصت على تغطيته بقبة من الزجاج؛ لكي تتمكن "چوان" من السباحة في كل فصول السنة.

نزعت "لوري" نظارتها السوداء، وأخذت تسير ببطء في حجرة المعيشة الفسيحة ذات الأرائك المكسوة بالقطيفة الحمراء والمدفأة الرخامية.

صاحت:

– يا للفارق بين هذا المكان ومنزلي! لا وجود لذرة غبار، ولا لمجلة في غير مكانها، ولا حتى لقدح غير نظيف على المنضدة.

– هل هذا بفضل مديرة منزلي "ماجي جودوين"؟ إنها تحضر من يوم الاثنين حتى يوم الجمعة فهي خلال هذه الفترة تقوم بعملية نظافة المنزل وإعداد الوجبات التي لا تكلفني بعد ذلك إلا التسخين. إنها تسهر أيضا على أن يكون كل شيء معدا في حالة اصطحابي لأحد الزبائن، أو لزميل عمل. عندي أيضا بستاني "أرتي". إنهما يهتمان بكل شيء هنا.

– يا له من حظ! كانت تُعتبر الجنة بالنسبة لي إذا حصلت على من تقوم بنظافة منزلي، وإعداد وجباتي.

– كيف حال محلك؟

من خلال جمل قصيرة فهم "جاريد" أن الأعمال ليست مزدهرة بالنسبة للشريكتين.

– توجد أيام أفضل من غيرها.

عادت إلى التجول بالمسكن وهي تتنهد، يدفعها فضول إلى رؤية كل شيء. استنشقت عبير الزهور الموضوعة بفن رفيع في الزهريات، لاطفت الأثاث الفاخر، ثم ما لبثت أن توقفت أمام صورة لـ"جوان".

– هل هي زوجتك؟

– نعم. لقد رسمت لها هذه الصورة قبل وفاتها بعامين.

– إنها جميلة جدا.

التفتت بعد ذلك نحو "جاريد" وسألته:

– هل كنت تحبها؟

– نعم.

لم يتمكن "جاريد" من إنكار المشاعر العميقة التي كانت قد ربطته بـ"جوان"، ولا تلك التي كانت تدفع به إلى "لوري".

– هل كانت طويلة كما تبدو في الصورة؟

– نعم. كان طولها مترا وثمانية وستين سنتيمترا.

نظرت إليه من القدمين إلى الرأس وعلقت:

– الطول المناسب لك.

– إني لا أعترض على مقاييسك.

– هذا بخلاف ما إذا كنت تحيا وسط أناس ذوي طول معتدل وأنت تتخطى الطول الطبيعي.

– من الممكن. لكن الناس الذين هم في طول عادي ليسوا أروع منك.

قطبت "لوري" حاجبيها؛ مما جعل "جاريد" يشعر بأنه قد ارتكب خطأ. أردفت:

– إذن هذا هو ما تبحث عنه يا "جاريد"؟ فتاة صغيرة قصيرة القامة؟ تستطيع السيطرة عليها، ومن جانبها تشعرك بأنك مازلت شابا.

اقترب ممسكا بالوجه النحيف بين يديه:

– لا يا "لوري". عندما عرفتك لم أكن أبحث عن أحد.

وضعت يديها على يديه، وأمعنت النظر في عينيه. قالت:

– أذكر أنك– عندما تقابلنا للمرة الأولى– قلت لـ"الشريف": إن لي مظهر الطفلة، وكنت وقتئذ لا ترحب بقيادتي لعملية البحث عن "سوزي" وإنقاذها.

عندما شعر بالندم على أقواله المتسرعة هذه، قال:

– وهل من خطأ في أن أخاف عليك؟

– لقد ادعيت أني أبدو أصغر من سني.

– بالضبط. وأي فتاة غيرك كانت تعتبر هذا التعليق مجاملة.

– ربما.

– اسمعيني يا "لوري": لقد كنت في هذه الأمسية على خطأ كبير، وعندما أجدت عملك عبرت لك عن ذلك... والآن كيف أستطيع التعبير بأكثر من ذلك؛ لكي أقنعك بأني أقدر قيمتك؟

– لست أدري.

هربت منه، وعادت إلى صالة المدخل المطلة على حمام السباحة. أعطت له ظهرها وقالت:

– من الممكن أن تكون مشكلة بالنسبة لي.

عادت إليه بعد ذلك، وعلى محياها ابتسامة مشرقة.

– إذن هل سنسبح؟

– تحت أمرك.

– أين أستطيع تبديل ملابسي؟

– في حجرتي، أو في حجرة الضيوف. كما تشائين.

– في حجرة الضيوف.

ثم عند باب الغرفة منحها بعض التفاصيل:

– يوجد حمام بجوار الغرفة مباشرة. ستجدين فيه مناشف. هل أستطيع مساعدتك؟

– يمكنني ارتداء ملابسي بمفردي.

ثم تفرست في عينيه، وضحكت بعصبية، وقالت:

– وجب أن نعرف بعضنا بعضا أكثر من ذلك يا "جاريد".

*****

www.elromancia.com

كان "جاريد" غارقا في حمام السباحة، وكان يتابع الذهاب والإياب على التوالي . عندما ظهرت "لوري" كان محتاجا إلى تدريب لخمد ثورة جسده التي كان يثيرها فيه اقتراب الفتاة.

عاد إلى حافة الحمام وتطلع إليها وهو يلهث.

كانت "لوري" قد أعادت وضع نظارتها الضخمة، وكان لباس البحر الذي ترتديه باللون الأزرق. فما كان من "جاريد" إلا أن أغلق عينيه؛ حتى لا يندفع نحوها.

نزلت إلى الماء بهدوء وسبحت في اتجاهه، وعندما اقتربت منه تعلقت بالحافة تاركة مسافة مناسبة بينهما.

قالت في إعجاب:

– يا له من حمام سباحة! إنه في مساحة منزلي بأكمله. كما أن من ينزل فيه لا يشعر بتغييرات درجات الحرارة.

– بالنسبة لـ"جوان" كانت السباحة هي أنسب رياضة؛ لذلك كان من الضروري توفير مكان تستطيع ممارسة رياضتها هذه فيه، حتى لو كانت درجة الحرارة في الخارج أربعين تحت الصفر.

غطست فيه "لوري" عدة مرات. كما كانت في كل مرة تطفو على سطح الماء، تهز شعرها مثل كلب ثائر. وأخيرا عادت بالقرب من "جاريد".

– حوالي مترين ونصف.

– لا. أقل من مترين لأعمق نقطة؛ لأني كنت أعمل بذلك على أن يكون رأس "جوان" خارج الماء في حالة شعورها بالتعب.

أردفت "لوري":

– من حسن الحظ أنك لم تفكر في، وإلا كنت اضطررت إلى تصميم حمام سباحة خاص بالأطفال.

أخيرا توجه نحوها. كانت نقط المياه تتساقط من شعره على جبينه، تتعلق بأهدابه وأخيرا تقع على وجنتيه. كانت شفتاه مفتوحتين إلى النصف. وضع طرف أصابعه على كتفها ثم في تردد قال:

– "لوري"... "لوري"... إذا كنت لا ترغبين في أن المسك فما عليك إلا أن تخبريني بذلك في الحال... وإلا فسأقبلك.

– إن رأسي يدور.

– وأنا أيضا.

تلاقت شفاههما. حوطت "لوري" عنق "جاريد" بذراعيها. همس هذا الأخير في أذنها:

– أرغب في البقاء معك.

أجابت:

– وإذا قلت لك لا؟

– سأكون حريصا على تنفيذ وعودي بألا أتسبب لك فيما قد يزعجك. غير أني سوف أجد صعوبات في القيام بذلك التنفيذ سيكون صعبا جدا.

كررت "لوري":

– صعب جدا.

ثم تعلقت الفتاة بعنقه أكثر، فما كان منه إلا أن أصدر أنينا:

– استمري هكذا. وسوف تكون النتيجة أني سأرجع عن قسمي.

– أترغب حقا في البقاء معي يا "جاريد"؟

كان هذا الأخير يرتجف، وقد كان فريسة حمى أشعلتها فيه "لوري"... ثم قهقه لفكرة أنها وجهت إليه هذا السؤال الساذج.

قال مازحا:

– وجب تصديق ذلك.

مرت بأصابعها الرقيقة على شعره المبتل، ثم بصوت خافت قالت:

– ألا أدفعك إلى التفكير في ابنتك الصغيرة.

– ليست لي ابنة.

ثم قبل عنقها وكتفيها، وكان يرغب في إغراقها بالقبلات.

– ألا تشعر بالحاجة إلى حمايتي؟

– لا أبدا.

هل كانت هذه هي الإجابة التي تتمناها؟

توقفت "لوري" عن توجيه أسئلة. واندفعت في دوامة من القبلات والملاطفات التي وجدت صداها في جنون "جاريد".

عادا إلى حمام السباحة وفجأة سمعا صوتا يقول:

– لقد سمحت لي ماما يا خالي "جاريد" أن أسبح معكما.

كانت "سوزي" في لباس البحر تبعد عنهما بمترين.

سألها "جاريد":

– أين والدتك؟

أجابت "لوري" نيابة عن الفتاة الصغيرة:

– إني أراها. إنها في حجرة المعيشة.

صاح "جاريد":

– يا إلهي!

همست له "لوري":

– ابتعد. إن "بيكي" تأتي نحونا، و"سوزي" تنزل درجات حمام السباحة.

الآن "سوزي" تسبح نحوهما، ورأسها الصغير يطل من الماء. ثم بدت "بيكي" على حافة الحمام حاملة رضيعها.

أردفت بنبرة مرحة:

– إن "توم" سيقضي يومه في الحقول؛ لذلك رغبت في القيام بزيارتك. إني...

علم "جاريد" لماذا توقفت الكلمات في حلقها. لقد بدت "لوري" بالقرب منه وعندما هزت شعرها رشت "جاريد" بالماء ثم استندت إليه، وكل ما استطاع القيام به هو طبعا تقديم التحية لأخته. ثم قال:

– أتتذكرين "لوري"؟ "لوري كراوفورد" الفتاة صاحبة الكلب التي عثرت على "سوزي"؟

قامت "لوري" بدورة ثم استقرت على حافة الحمام. أخذت "بيكي" تنتقل بنظرها من وجه الفتاة إلى وجه أخيها. بدت محرجة فدمدمت:

– كنت لا أعرف. لم أتحقق من... "سوزي"، اخرجي. خالك "جاريد" مشغول. إننا لا نستطيع البقاء.

كانت الفتاة قد وصلت إلى منتصف الحمام، وسواء أنها لم تسمع والدتها أم كانت تفضل تجاهل ما أمرتها به؛ فقد استمرت الصغيرة في السباحة. حينئذ تدخلت "لوري":

– لا تنصرفا. لقد اقترح علي "جاريد"، الاستفادة من الحمام. ثم مشيرة إلى الصغيرة قالت:

– إنها تجيد السباحة.

ثم دون أن تبعد نظرها عن "جاريد" منتظرة إجابته بلا شك أجابت "بيكي":

– إنها جنية حقيقية. بنت الماء.

أما ما كان "جاريد" يرغب في أن يقوله فهو أن تصطحب ابنتها وأن تعود إلى زوجها وإلى مزرعتها.. ومع ذلك حاول الابتسام وصاح:

– ضعي ابنك يا أختي في السرير، والحقي بنا.

– كنت لا أرغب في...

– هيا.

ثم التفت إلى "لوري" قائلا لها من بين أسنانه:

– فيما بعد.

فيما بعد سيعودان إلى ما كانا قد بدآه، وعندما لحقت بهما "سوزي" تعلقت بعنق خالها وهي تصيح:

– لقد نجحت. لقد نجحت!

دمدم "جاريد":

– على الأقل توجد واحدة.

سمع بعد ذلك ضحكات "لوري" التي غطست في الماء وابتعدت.

*****

نزلت "بيكي" إلى الماء، لكن لفترة قصيرة جدا، إذ كانت متعجلة العودة إلى وليدها. فما كان من "لوري" إلا أن تبعتها حتى تشاهد المخلوق الصغير النائم.

أما "جاريد" فقد استمر بعض الوقت في اللعب مع ابنة أخته. ثم بعد أن أمر هذه الأخيرة بالبقاء حيث كانت عاد إلى المنزل.

وبعد ربع ساعة، بعد أن انتهى من أخذ دش وارتداء شورت، عاد "جاريد" حاملا صينية عليها شيبسي وبعض المشروبات.

صفقت أخته معلقة:

– ألم أقل لك يا "لوري" إنه مثل أم بالنسبة لي؟ هانت قد شاهدت بنفسك.

سأل "جاريد":

– من الأم؟ ماذا تطلبين يا "لوري"؟

– كوكا من فضلك.

ألقت إليه "لوري" نظرة خاطفة من القدمين إلى الرأس، واستطاع "جاريد" قراءة ما في عينيها من تقدير لقوامه ذي العضلات المفتولة.

استطردت "بيكي":

– إنك أنت الأم يا أخي العزيز. كنت في هذه الأثناء أوضح لـ"لوري" مدى اهتمامك بي، مجنبا إياي كل العقبات وساهرا على ألا أرتكب أقل خطوة خاطئة.

تناولت بعد ذلك القدح الذي كان يقدمه لها "جاريد"، تناولت منه رشفة، ثم واصلت حديثها متوجهة إلى "لوري":

– إن والدتنا مشتركة في عدد من الأعمال الخيرية لا أستطيع حصره. إنها تتفانى في هذه الخدمات. لكن لا جدال في أنها تهتم كثيرا بأبنائها. أما عن والدنا فقد كان دائما متغيبا بحكم أعماله. مع ذلك وجب علي الاعتراف بأني أكن لـ"جاريد" كل تقدير؛ لاهتمامه بي.

ربتت بعد ذلك على ركبة أخيها وختمت كلامها:

– إنك عامة تميل إلى الظهور بمظهر الحامي، ربما تبالغ بعض الشيء في ذلك. لكني أحبك جدا.

– ما الذي تسردينه؟ لست أدري..

لم يكن الوقت مناسبا للتحدث عن صفاته أمام "لوري".

ألحت أخته في القول:

– نعم إنك هكذا. إن له أسبابا قوية لما يبدي من حب حماية الآخرين؛ إذ ما الذي يستطيع القيام به صبي مسؤول عن أخته الصغرى ذات الأعوام الاثني عشر، وعن زوجة لا تريد أن تعترف بأنها مريضة؟ هل كلمك عن "جوان"؟

– نعم. هل ترى يا "جاريد" أنني لم أبالغ عندما وصفتك بأنك تميل إلى حماية الآخرين؟

فتح "جاريد" زجاجة شراب، وتناول منها بعضا ثم دمدم:

– لا أبدا.

– هل يتصرف على هذا النحو معك يا "لوري"؟

– على أي حال إنه يحاول.

وكان "جاريد" لا يرى إلا انعكاس وجهه على نظارة "لوري" السوداء، ولم يتمكن من قراءة ما تعبر عنه عيناها. فضل تغيير المجال. ثم وضع إصبعه البارد– سرا– على ظهر الفتاة قائلا:

– حدثيني عن تجارتك.

– أترغب فيما هو حسن أم سيئ؟

– الاثنين.

– نبدأ بالجانب الجيد وهو أني ساكون عن قريب المالكة الوحيدة لـ"لوري". والجانب السيئ هو أني ساكون المالكة الوحيدة.

ثم بعد لحظة تردد استطردت:

– لقد أخبرتني شريكتي بأن زوجها عين في "نيويورك"، وأنهما سيرحلان خلال أقل من أسبوعين.

أبدى "جاريد" ملاحظته:

– لا يبدو أنك مسرورة.

وفي الواقع لقد بدت "لوري" فجاة وكان أثقال وأعباء الدنيا كلها وقعت على كاهل كتفيها الهزيلتين.

– ليس من السهل أن يكون المرء كذلك عندما يكون فريدا تماما! إن صديقتي أفضل صديقة لي ستعيش على بعد مئات من الكيلومترات من هذا المحل... لنقل: إن "ريث" كانت تمثل الرأي الصائب لشركتنا... من جانبي أنا أجيد معاملة الزبائن، أو التوجه للمشتريات، لكن غير كفيلة بسداد فاتورة أو التدخل في أمور الحسابات. لقد كان "جريج" صائبا في حكمه عندما وصف ضعفي في الحساب بأنه مأساوي. ثم دون أن تترك لـ"بيكي" الوقت لتوجيه أي سؤال أردفت:

– إني مطلقة. إن زوجي السابق يعتقد أني طفلة غير قادرة على القيام بأي عمل دون معونته.

ثم ملقية نظرة خاطفة إلى أخيها قالت "بيكي" معلقة:

– إن بعض الرجال لهم هذه الآراء.

رفع "چاريد" ذراعيه إلى السماء في حركة تمثل يائس:

– من جانبي، فإني أكتفي بعرض بعض الاقتراحات التي لا تصغين إليها دائما.

مالت "بيكي" على "لوري".

– إن لم تتبعي نصيحته، فهو يبحث عن مبررات ووسائل لكي يقنعك بها، وإن لم يفد فهو يغير من نبرته، وإن لم يفد كل ذلك بشيء فهو يعطيك ظهره شاعرا بأنه مظعون.

تمكن حينئذ "چاريد" من مشاهدة حاجبي "لوري" يقطبان خلف نظارتها السوداء، وتذكر تصرفاته معها عندما عثرا على "سوزي"، وماذا كان رد الفعل عندها. ربما كان "چاريد" يدور على عقبيه عندما يجد أن المفاوضات تتخذ طريقا مسدودا، ومع ذلك– متظاهرا بأنه لم يعد مهتما– كان قد حصل على عقود جيدة، وكانت "بيكي" لا تفهم. أخيرا ألقى بنفسه في مقعد مريح حيث استرخى وهو يتطلع إلى الأفق.

جاءت "سوزي" متوسلة إليه:

– أترغب في اللعب معي يا خالي "چاريد"؟

– لا، ليس الآن.

إن ما كان يرغب فيه الآن هو أن تعود أخته وابنتها إلى منزلهما، وأن يعود هو إلى لقائه بـ"لوري". كان يتمنى التواجد بمفرده معها... أن يقبلها وأن يتبادلا الأحاديث الودية والملاطفة.

لم تبد "بيكي" أي نية للانصراف، إنما كانت مهتمة بموقف "لوري". قالت لها:

– ألا ينبغي أن تحصلي على محاسب؟

هنا صاحت "لوري":

– محاسب، وسكرتيرة وبائع في شخص واحد. أين نعثر على هذا الطائر النادر؟ لأنه بالإضافة إلى ذلك سوف يطالب بالعمل المستمر. إننا "ريث" وأنا كنا لا نأخذ إلا القدر اليسير اللازم لتحقيق استثمار أقل ربح نحصل عليه.

وعي تجاري جيد. هكذا قال "چاريد" لنفسه. وكان يحاول تذكر ما كان عليه بوتيك "لوري" من قبل. لقد تملكته صاحبة البوتيك عندما توجه إلى هذا المحل لأول مرة. كانت هي وليس الديكور، نعم. ومع ذلك تذكر شيئا آخر:

– لماذا لا تمتلكين حيوانات في محلك؟

– لأني لا أريد حرمان جرو أو قط صغير من أمه. ولا أرغب في العصافير. كثيرون يقدمون على تجارة محرمة غير شرعية، ويموت الكثير من الحيوانات أثناء النقل. لدينا أسماك، حمراء بالتأكيد؛ لأن الأسماك الأجنبية تتعرض لنفس الخطر، كذا العصافير، خنازير الهند والفئران البيضاء. إننا نبيع خاصة أغذية، وبعض المهمات وكتبا خاصة بالتربية.

– وهل هذا يكفي المرء لكسب عيشه؟

– هذا ما كنت أعتقد؛ لذلك قررنا "ريث" وأنا افتتاح هذا النوع من البوتيكات في "نورتون"؛ لأنها كانت تفتقر إليه والآن أفهم لماذا لا يوجد زبائن لذلك المحل.

أخذت "لوري" تجول بنظرها نحو صف أشجار الأرز– ما بعد مسطحات الخضرة الذي كان يحدد أراضي "چاريد".

اقترحت "بيكي":

– وجب أن يعمل أخي على مساعدتك؛ لأنه يعد من أفضل رجال الأعمال. أترى يا عزيزي "چاريد" أني لا أسخر منك؟

"لوري" لم تبد أي تعليق، لكن "چاريد" شعر بمقاومته وكأنها دفعته بكفها، كذلك أخته كانت حساسة جدا لهذا الوضع؛ لأنها استمرت في سرد فضائله:

– لا تظني أن حياة "چاريد" كانت سهلة. إنه– مع والد مثل والدنا– اضطر إلى العمل الدؤوب حتى بلغ هذا المركز. لقد ارتقى كل درجات سلم شركة "نورث"، من حارس إلى مدير عام. أليس كذلك يا أخي الأكبر؟

دمدم "چاريد":

– بلى، بلى.

لم تكن "لوري" تخشى خبرته، إنما قدرته على التسلط. تناول "چاريد"

خصلة من شعرها لفها بين أصابعه ثم طمأنها بقوله:

– لا تخشي شيئا. إن إدارة بوتيك للحيوانات لا يدخل في مشاريعي.

ركزت "بيكي" على كلماته بقولها:

– ربما لا. غير أن الدبلوم الذي حصلت عليه من "هارفارد" يفيدك في معاونة تجارة صغيرة للحياة.

– إنك تعلمين ما كان يدعي الوالد بخصوص الاستثمارات التي...

ألقى نظرة خاطفة على "سوزي". كانت الصغيرة تلعب في هدوء بعروستها، غير أنه كان يشعر بأن الصغيرة لا تغفل عن حديثهما.

– إن والدي كان لا يرغب في استثمار الأصناف التي لها إخراج.

هنا قهقهت "بيكي":

– لقد أحسنت في قولك يا أخي الأكبر. كما أنه يجب علي تفسير هذه الكلمة إلى من له آذان مصغية. أبي أيضا له نفس الرأي؛ إذ كم من مرة نصح "توم" بالتخلي عن التربية. حقا إن إدارة مزرعة لها مخاوف عديدة، وكان لا يعلم أن "توم" يحب ذلك.

حينئذ تدخلت "لوري":

– إذا كان في إمكاني القيام بعمل ما أحب إلي لكونت فرقا للإنقاذ مزودة بالكلاب. إن هذا المشروع مكلف. وعدا ذلك فإن كل ما أجيد عمله هو الاهتمام بالبوتيك الخاص بي.

رفعت "لوري" نظارتها من على عينيها ونهضت ثم أعلنت:

– سوف أسقط على رأسي.

أما "جاريد" فكان يراقب كل حركاتها.

لاحظت "بيكي":

– إنها رشيقة، جذابة.

حك "جاريد" رأسه:

– آسفة لقيامي بقطع خلوتكما.

– بالتأكيد.

– هل قلت لها؟

الفصل الثامن

حينئذ واجه "جاريد" أخته:

– قلت ماذا؟

– إنك وقعت في حبها.

لحسن الحظ كانت "بيكي" قد تكلمت بصوت منخفض. كاد "جاريد" لا يصدق أذنيه.

– محب؟ عاشق؟ لقد عرفتها قريبا. إننا تقابلنا يوم شردت "سوزي".

اكتفت "بيكي" بالابتسام. قال لها:

– أختي الصغيرة. لقد مكثت طويلا في الشمس.

– وانت يا أخي لديك نجوم في عينيك. وهو أمر يسرني جدا. كنا كلنا نحب "جوان" كثيرا، ولقد تأثرنا لرحيلها ومازلنا نفتقدها. ومع ذلك لقد حان الوقت حتى تكون لك زوجة.

– نحن؟

كانا يتهامسان مثل أطفال ماكرين؛ لأنه كان لا يرغب في أن تسمعهما "لوري". غير أنه كان مرتبكا لاستخدامها صيغة الجمع.

– نعم: ماما، "توم"، "جراس" وأنا.

كان عليه أن يشك بالنسبة للسكرتيرة ولامه؛ لأنهما منذ حوالي عامين على الأقل وهما تدفعان به إلى الزواج. بـ"لوري"؟

لم يكن يعرفها بعد بالقدر الكافي ولا لفترة كافية. كان "جاريد" فيما مضى قد لزمه خمس سنوات للتعلق بـ"جوان". كانا صديقين وزميلي دراسة في الجامعة قبل أن يفكر في أن يتخذها زوجة له. لكن مع "لوري" الوضع– قبل كل شيء– لا يتعدى انجذاب أحدهما للآخر انجذابا طبيعيا؛ إذ إن كلا منهما كان لا يرغب إلا في جسد الآخر وأنهما فور انصراف "بيكي" سيعرفان كيف يستفيدان من هذه الفرصة.

*****

لحق "جاريد" بـ"لوري" في حمام السباحة، دون أن يبدل الشورت"، الذي كان يضعه بلباس البحر. وفي طريقه أخذ "سوزي" بين ذراعيه، وقضيا مع الصغيرة فترة طيبة في مرح وتسلية. وكان "جاريد" لا يبعد نظره عن ابنة أخته، وإن كان كل اهتمامه كان منصبا على "لوري" وحتى لو كان هذا في جمع غفير لتصرف هكذا. ولما كانت الفتاة قد أشارت بأنها تميل إلى الرجال ذوي الأجسام القوية، عمل "جاريد" على استعراض عضلاته، وذلك بأن دفع "سوزي" بين ذراعيه ودار حول نفسه لكي يلفت نظر "لوري" إلى عضلاته. وكانت "سوزي" تضحك ملء قلبها. لكن ما كان يرضيه أكثر كانت ابتسامة الفتاة. لقد أيقن "جاريد" أنه لم يرغب في فتاة كما يحدث له الآن.

عندما قررت "لوري" مغادرة الحمام كانت "بيكي" تعطي المرضعة إلى طفلها. أما "جاريد" فقد ظل في الماء استجابة لرجاء ابنة أخته. ولم يخرج منه إلا عندما وضعت "بيكي" "تود" هذا المخلوق الرقيق بين ذراعي "لوري" بعد أن انتهت من إطعامه. سأل:

– من يرغب في الترطيب؟

أجابت "بيكي":

– بكل سرور. وبعد ذلك ننصرف.

وكان هذا أظرف ما قالت منذ وصولها.

أسرع "جاريد" إلى المطبخ لإحضار المشروبات. كان يتمنى أن تسرع أخته في الشرب، وألا تفرط ابنة أخته في تناول الشيبسي... كانت كل دقيقة تمر وكأنها ساعة بالنسبة له، وكان "جاريد" يلاحق "لوري" بنظراته وهي تداعب الطفل الرضيع.

أخيرا نهضت "بيكي"، وأخذت "تود" من بين ذراعي "لوري". قالت:

– حسنا. لقد شربنا، وأكلنا وسبحنا، وقد حان الوقت لاتخاذ طريق العودة.

نهضت "لوري" أيضا وأردفت:

– وأنا أيضا سأنصرف يا "جاريد". لقد تكلمنا عن ذلك. في إمكانها تركي على الطريق؛ لأنه قد يكون غباء أن نرغمك على اصطحابي.

– كنت أعتقد أنك ستبقين لتناول العشاء، وأكثر من ذلك.

– وجب أن أعود؛ عندي عمل. شكرا على هذه الفترة اللطيفة التي قضيناها معا. لقد تسليت ومرحت كثيرا.

– حقا.

وكان "جاريد" لا يمكنه أن يقول أكثر من ذلك. كل هذا الانتظار الحار للا شيء.

أجابت:

– نعم.

قرأ في عينيها التردد والندم. كانت ترغب في البقاء، وفي العودة إلى الخلف، في التراجع، لكنها كانت تخاف من نفسها، وأخيرا قطعت بقولها:

– الأفضل أن أنصرف.

إن لم تكن أخته حاضرة بالقرب منهما مصغية إلى ما يقولان لاستطاع دفع الفتاة إلى الإفصاح له عن حقيقة مشاعرها، وما كان منه إلا أن ابتسم قائلا:

– حسنا جدا يا "لوري". أأنتظر منك اتصالا هاتفيا هذا المساء؟

اقشعرت الفتاة وعلم أنها لن تقوم بذلك. استطرد:

– هل معك رقم تليفوني؟

قالت "سوزي" في تنغيم:

– أنا أعرفه. كثيرا ما أسجله لماما.

مطت "بيكي" شفتيها وأردفت:

– من فرط معاونتها لي فهي تطلب لي أرقاما في كل أنحاء البلدة... هيا يا عاملة السويتش تناولي حاجياتك؛ لأننا سننصرف.

– وأنا أيضا سأحضر حاجياتي. هكذا أعلنت "لوري".

تبعها "جاريد" إلى الداخل، إلى حجرة الضيوف بعيدا عن "بيكي". سألها:

– لماذا تنصرفين بهذه السرعة؟ لقد أخبرتك بأني لن أقوم بما يضايقك، وأنا متمسك بكلامي.

– وأنا أصدق قولك.

وضعت ملابسها في حقيبتها، تأكدت بنظرة دائرية في الحجرة من أنها لم تنس شيئا، واستعدت للخروج. توسل إليها بصوت خافت:

– امكثي.

ربتت كتفه قائلة:

– إنك تخيفني يا "جاريد".

– لماذا؟ ما الذي قمت به لكي أستحق ذلك؟

– لا شيء. إنما لأنك شخص واثق من نفسك، وموهوب إلى حد كبير.

– وهل كنت تفضلين أن أكون سخيفا؟

– لا.

ثم استطردت:

– أقول هذا؛ لأني أشعر أنه قد يكون من السهل أن أنساق إليك وأن أدعك تتخذ قرارات نيابة عني وأخيرا، أن تنظم حياتي وفق رغبتك. لقد كافحت كثيرا للحصول على استقلالي. "جاريد"...

لم تنه "لوري" جملتها، ومثل حيوان خائف بدأت تتراجع. أمسك "جاريد" بذراعها– وقد أخذ بخوف لا مبرر له– قائلا في نفسه: إنه معرض الآن لفقدها إلى الأبد.

– لا تهربي يا "لوري"... امكثي، امنحينا فرصة للتعارف أكثر، أعطي نفسك فرصة لاكتشاف أني لست كما تتخيلين.

سمع صوت "بيكي" من المدخل:

– هل أنت جاهزة؟

صاحت "لوري":

– إني آتية.

أردف "جاريد":

– أرجوك.

– لا أستطيع يا "جاريد". إنك لا تستطيع معرفة ما... لا. لا أستطيع.

– "لوري". فكري في، فكري في نفسك.

نظر "جاريد" إلى ابنة أخته التي كانت قد أتت في صمت ووقفت

بالقرب منه، تنظر إليهما في فضول طفولي. تنهدت "لوري" ثم انطلقت في الضحك.

– سوف أتصل بك يا "جاريد". سنتكلم معا.

– هذا وعد؟

– وعد.

وما هي إلا خمس دقائق، وإذا بالفراغ والصمت يسودان المنزل. عمل "جاريد" على وضع الأكواب والأطباق بالمطبخ. وقف أمام صورة زوجته متذكرا حاله عندما كانت معه، والوحدة التي شعر بها بعد وفاتها. كان قد اعتقد أن في إمكانه الحياة على ذكراها، وأنه لن يجد أبدا زوجة أخرى تعوض "جوان". تعتمت صور حياته الزوجية أمامه رغما عنه؛ بسبب فتاة ذات عينين كفيلتين بأن تثلجا من الثورة وأن تشتعلا بالرغبة. أغلق "جاريد" عينيه وقام بصلاة بذهنه.

"نادِيني".

وكان في المساء وعندما قاربت الساعة التاسعة، وكانت مكبرات الصوت الموضوعة حول حمام السباحة تذيع أنغام "شوبير". جلس "جاريد" على مقعد ذي مسندين مشبكا ساقيه، واضعا ذقنه في يده اليمنى، مستغرقا في أفكاره. كان قد ارتدى "بلوفر" قديما أزرق لكنه كان محتفظا بنفس "الشورت" الذي كان يرتديه في فترة بعد الظهر. كل شيء كان يذكره بـ"لوري". أخذ يستعيد حماسها الواضح عندما اكتشفت الڤيلا، سرورها وهي تداعب الطفل، ضحكها، قبلاتها.

انتفض عند سماع رنين جرس التليفون، عضلاته تقلصت؛ لذلك اضطر إلى انتظار الدقة الثانية قبل أن ينهض. صاح:

– آلو.

– شكرا على دعوتك. لقد قضيت لحظات طيبة جدا.

كان الحرج باديا في صوت "لوري".

– كنا سنقضي أوقاتا أفضل لو بقيت لفترة أطول.

صدر من الفتاة ضحكة خفيفة وصفها "جاريد" بأنها مصطنعة.

– كنت محتاجة إلى تفكير.

– وهذا ما قد فعلت؟

– نعم.

تلت بعد ذلك فترة صمت، وكان "جاريد" موشكا على الكلام عندما استطردت:

– أختك لطيفة يا "جاريد".

– لو كانت كذلك لاختارت يوم أحد آخر لزيارتي.

وكانت ضحكة بريئة صافية صدى لهذه الملاحظة.

– تقصد أنها لم تأت لحسن الحظ بعد عشر دقائق.

– ياه! لقد حضرت ابنة أختي؛ لذلك ساعمل على غلق باب المدخل بالمفتاح.

– في الحي الذي كنت أعيش فيه في "شيكاغو" كان المرء لا يفكر في ترك الباب مفتوحا. وهذا ما قد أحببته في "نورتون": وضع الثقة في الناس.

– لكنك لا تثقين بي يا "لوري".

– أنا لا أشك فيك يا "جاريد". أنا لا أدري كيف أعبر لك عن مدى ارتباكي منذ عرفتك.

– جربيني.

– ربما يكون ذلك يوما ما. إن أختك تقدرك تماما.

– إنها فتاة خارقة.

– لقد ألحت ونحن على طريق العودة على أن أستفيد من خبراتك في الأعمال. إذ إنك– بحسب رأيها– الشخص الوحيد القادرعلى أن ينقذ ويحمي محلي.

لم يعلق "جاريد" على كلامها. من البديهي أن أخته تقوم بنصب شباك مختلفة على طريقته.

– "جاريد"؟

– نعم.

– أترغب في معاونتي؟

– السؤال هو: هل تسمحين بأن أعاونك؟

– إني خائفة منك يا "جاريد".

– إنك لا تكفين عن ترديد ذلك. لماذا؟ لست أدري!

كان "جاريد" يتمنى أن تكون "لوري" في هذه اللحظة قريبة منه، أن يأخذها بين ذراعيه، أن يدللها، أن يطمئنها.

– ليس من السهل أن أوضح لك في الواقع. إني أخشى أن تتملك حياتي و...

– وهذا ما كان قد حدث مع زوجك؟

– بالنسبة له فهو كان لا يكف عن إعطائي نصائح. آه. نعم كنت وقتئذ فتاة صغيرة، لطيفة، مطيعة، تنفذ كل ما يطلب منها.. والآن أصبحت لا أرغب في هذا النوع من المعاملات يا "جاريد".

– بالنسبة لي يا "لوري"، أنا لا أبغي إرشادك إلى ما يجب عليك القيام به، لكن إذا سألتني عن رأيي أو طلبت مشورتي...

– أعلم. إنه بدون منفذ.

ها هو "جاريد" قد بدأ يكسب في الملعب. لقد اتصلت به، بدأت تضع ثقتها به. إذا عمل على مساعدتها في البوتيك فسيجد مجالا لقضاء وقت أطول معها.

استطرد:

– على كل حال فلنحاول.

– أمن الممكن البدء منذ الغد بعد العمل؟

إن "ريث" تريد معرفة– وهذا قبل رحيلها طبعا– إذا كنت سأشتري نصيبها، أو إذا كنا سنعرض كل المحل للبيع.

– هل تحبين اللحم الجيد؟

– إني نباتية.

– حسنا سأحضر معي سلطات متنوعة عندما أحضر عندك، وذلك بعد خروجي من المكتب. وسنعمل أثناء تناول العشاء على فحص دفاترك، وسنرى معا ما هو صالح للتنفيذ.

*****

لم يخل المصنع طوال يوم الاثنين من المشاكل، وكان على "جاريد" أن يحدد ساعات عمل إضافية، غير أنه لجأ إلى ساعده الأيمن "بوب ويليس". وهرب فور استطاعته ذلك بعد إغلاق المكاتب في الأوقات الرسمية.

خرجت "جراس" بعده مباشرة. أخذت تشكو من شدة الحرارة وعندما واجهت الجو الخارجي قالت:

– إن الحرارة تزداد في كل صيف. أعتقد أنك ستلجأ إلى مياه حمام السباحة. ستلقي بنفسك فيه طبعا.

– ليس هذا المساء؛ لأني ساساعد صديقة في اتخاذ قرار فيما إذا كانت تشتري نصيب شريكتها، أو تبيع نصيبها.

سألته "جراس" بابتسامة واضحة ذات معنى:

– وهذه الصديقة اليست– بالمصادفة– الفتاة صاحبة الكلب؟

– نعم.

– يبدو أنها رائعة مع الأطفال، وأنها تسبح جيدا.

– وأنت. لقد ثرثرت مع أختي.

– في الواقع لقد اتصلت "بيكي" في فترة بعد الظهر وقت أن كنت أنت في المصنع، وعندما أردت أن أناديك رفضت قائلة: إن هدف المكالمة هو فقط تقديم الاعتذار لك عن إزعاجها لك بالأمس كما أنها ستعمل على الاتصال بك في المرات المقبلة، قبل أن تدخل عندك. كما أنها أيضا تسأل: هل كان لتقديرها لك بالأمس فاعليته؟

أخذ "جاريد" يضحك؛ لأنه في الواقع– مع سكرتيرة وأخت مثلهما– من الصعب كتمان أي سر.

– أخبريها في مكالمتك القادمة بأنه "نعم" إنها أقنعت "لوري" بأني نسر في الأعمال التجارية، وأتعشم أن أكون على مستوى الدعابة التي عملتها لي "بيكي".

– أنا لا أدري أنك نسر، إنما أنت بالتأكيد شخص متمكن تماما. وعلى كل حال أتمنى لكما ألا تقضيا كل السهرة في العمل!!

عندما أعلنت الساعة السادسة والنصف كان "جاريد" يدق باب "لوري". سمع نباح الكلب من الداخل، فتذكر آخر موقف له مع "كابي".

لم يكن له حظ حقا. إن لم يكن الكلب الذي يقوم بدور الرقيب فهي الأخت.

ولما لم يحصل على إجابة قرر الذهاب لرؤية البوتيك. دار "جاريد" حول البوتيك حاملا حقيبة بها مأكولات، وإذا به يجد الباب مفتوحا. كانت "لوري" جالسة أمام الخزانة تفحص بعض الأوراق. عندما سمعت صوت أقدام رفعت عينيها، ورأته يتقدم. كان شعرها مسترسلا وخصلاته الكثيفة الشقراء الذهبية تنسدل في تموجات رائعة على كتفيها. ألقت بإحدى الخصلات خلف أذنها بحركة آلية ومرت بطرف لسانها على شفتيها.

لم تكن هناك طريقة لوصف النظرة التي ألقتها إليه. كان يقرأ فيها رغبة ملتهبة تجيب عليها رغبته. كان كلاهما جائعا لكن ليس للطعام الذي أحضره.

قالت "لوري" مازحة:

– إنك بلا شك الموزع.

– ألا يبدو علي؟

– أمامي خمس دقائق. اذهب إلى المنزل إذا شئت.

– لا، شكرا. لقد أنذرني كلبك بما سوف يلحق بي إذا وطئت قدماي أرضه.

– كيف ذلك؟ آه! إنك توجهت أولا إلى المنزل. لا تتأثر بتصرفات "كابي".

– أفضل البقاء معك. سأستفيد من ذلك بإلقاء نظرة.

وكانت "لوري" هي التي يقصدها في قوله: إلقاء النظرة. كانت ترتدي "جيب" و بنطلون باللون البيج وبلوزة ظريفة مطبوعة بنماذج من صغار القطط. لاحظ أن بشرتها أصبحت وردية.

– هل أصابتك لفحة شمس بالأمس؟

– نعم. كنت لا أعلم أن الشمس تحرق البشرة من خلال الزجاج. كان ينبغي أن ترى ظهري.

– أتمنى ذلك.

علت الحمرة وجنتيها وأسرعت بالقول:

– لقد أنهيت عملي.

كشفت الفتاة عن عنقها وهي تميل على عملها. فما كان من "جاريد" إلا أن طبع عليه قبلة انتفضت لها "لوري" وتراجعت خطوة.

– "جاريد" أنا... نحن... إذا كان واجب علينا... إذا كان من الواجب عليك أن تمد لي يد العون في مشاكلي- مع محلي- فمن الأفضل ألا تقبلني.

– تعلمين جيدا أننا مهيآن لكي نصبح محبين. أليس كذلك؟

– اسكت.

– لماذا؟ إني أقرأ في عينيك ما تستطيعين قراءته في عيني. إننا نعلم رد الفعل لدى كل منا كلما قبلنا بعضنا البعض أو تلامسنا.

ربما تستطيعين اعتبار أنه لا ينبغي أن تكون بيننا سوى علاقات عمل، لكن عن نفسي، أنا لا أستطيع ذلك أرغب في مساعدتك نعم لكني أيضا أرغب في توطيد صلتي بك، وهذا بالسهر معا هذا المساء، مساء غد، أو عندما تكونين مستعدة لذلك.

– إني في احتياج إلى وقت لمعرفتك.

مال عليها لكي يقبل جبينها.

– تعلمين أني أحب غمرك بالقبلات والسلطات المتنوعة. ما الذي ترغبين معرفته عني أكثر من ذلك؟ وبالعكس يوجد شيء أجهله عنك: هل عندك أطباق ومعدات سفرة؟

– آه. نعم طبعا.

لزم وقت ليس بالقليل للعثور عليها؛ لأن طريقة ترتيب الأشياء كانت تبدو عجيبة.

قررا تناول العشاء في حجرة المعيشة، وعندما تخلصت المائدة من الكتب والمجلات التي كانت تحتلها، استقبلت المائدة المنخفضة الوجبة. كان "جاريد" يبدي اهتماما خاصا لهذا الكلب؛ لأن الطعام كان في مستوى أنفه. ومع ذلك لم يتقدم بخطوة واحدة لكي ينقض عليه. كما أنه لم يزمجر عندما جلس "جاريد" إلى جانب "لوري" على الأريكة.

أردفت "لوري":

– لا ينبغي أن يزمجر "كابي"؛ لأن هذا يقلل من قدرته على البحث. من إذن يغامر بنفسه لكي يلتهمه الكلب الذي أنقذك. ضحك "جاريد". ثم وضع يده على ركبتها. تراجعت الفتاة قائلة:

– ألا تعتقد أن الوقت قد حان للتفكير في الأمور الجادة؟

– موافق تماما.

أمسك بذقنها في يده وأدار وجهها نحوه.

– إني أتكلم عن البوتيك: كيف يمكنني الحصول على نصيب "ريث" دون أن تنهار ميزانيتي؟

كان يرغب في معرفة السبب الذي يجعل نظراتها تتعثم كل مرة تتلاقى فيها نظراتهما... وعندما شاهد "جاريد" الكلب ممددا على الأرض في سكون قال لنفسه: إنه في إمكانه هو أيضا أن يهدأ. لن يحصل "جاريد نورث" في هذا المساء على أي شيء من "لوري كراوفورد". ولا هذا المساء ولا أي مساء آخر، ولم يكن في نهاية الأسبوع أمر بيع منتجات للحيوانات سرا بالنسبة لـ"جاريد". لقد درس كل دفاتر الحسابات منذ افتتاح محل "لوري" و"ريث". كان قد اجتمع طويلا بالواحدة وبالأخرى طالبا رأيهما بشأن أفراد ذوي خبرة. ولكي تبقى في "نورتون" لم يكن لدى "لوري" حل إلا الاحتفاظ بالمشروع. وبما أن "جاريد" أيضا كان يؤيد بقاء "لوري" بل يرغب فيه؛ فقد قام بإعداد خطة. واتصل بها هاتفيا مساء يوم السبت لإحاطتها علما بها. عند ثاني دقة سمع صوت آلة "الأنسرماشين" وبعد سماع الصفارة قال:

– مساء الخير يا "لوري". أنا "جاريد" ارفعي السماعة، ينبغي أن أكلمك. بعد ثانية كانت معه على الخط.

– هل في إمكاني سداد "ريث" والاحتفاظ بالمشروع؟

– نعم هذا إذا كنت موافقة على مشروعي.

– كيف ينبغي أن أتصرف ؟

– أولا. الحضور عندي غدا.

– "جاريد". إني جادة في حديثي. لقد سألتني "ريث" لتوها: هل اتخذت لي قرارا؟

– بكل جدية، لدي كل الأوراق هنا. هل ترغبين في الحضور في الساعة الثالثة؟ قبل ذلك إني على موعد مع دور جولف.

ثم وضع السماعة قبل أن تجد عذرا للرفض. أنت فكرة الجولف هذه في مكانها، هكذا قال لنفسه: كيف كانت تستطيع مناقشته عن المكان والزمن إذا كان حدد لها مكان عمل؟ لم يكن له موعد سابق مع أحد للعب الجولف. أخيرا، في النهاية سوف يعرف كيف يتصرف.

اتصل بها مرة أخرى. في هذه المرة بعد الصفارة ترك لها رسالة قصيرة.

– أحلام سعيدة يا "لوري".

الفصل التاسع

قضى "جاريد" فترة صباح يوم الاحد في ممارسة رياضة الجولف، وعندما وصل إلى الثقب الثامن عشر كانت السماء قد تلبدت بالغيوم. انخفضت درجة الحرارة، وبدأت تتساقط أمطار كالرذاذ.

ستكون فترة بعد الظهر ممتعة للبقاء في المنزل بصحبة كتاب جيد... أو زوجة.

عندما عاد "جاريد" إلى منزله أخذ دشا، وارتدى "بنطلون" من قماش الفانيلا الرمادي، وقميصا أزرق، أولى شعره عناية فائقة مستخدما المجفف لتصفيفه. كان شعره يعكس اللون الذهبي. أما ما كان يثير قلقه فهو أنه لاحظ فيه بعض اللمسات الفضية؛ لأنه كان يرغب في هذا اليوم في أن يبدو في قمة الشباب والحيوية والجاذبية.

وصلت "لوري" في الساعة الثالثة والربع، سألته وهي تبتسم:

– كيف تم دورك في الجولف؟ هل انتهيت قبل سقوط المطر؟

– بالضبط.

– أما أنا فقد قمت بنظافة منزلي الذي كان في أمس الحاجة لذلك! أين ترغب في أن نمكث؟

– في حجرة الطعام، حيث توجد مائدة كبيرة. هل ترغبين في تناول شيء قبل البدء في العمل؟

– كوكاكولا من فضلك.

لاحظ "جاريد" انها مهتمة بالريجيم بدقة، وكان لا يفهم لماذا رغم أنها ليست بدينة، وحتى البنطلون المتسع الذي كانت ترتديه كان لا يخفي نحافتها.

تردد قبل الذهاب إلى المطبخ... كانت "لوري" قد اقتربت من النافذة المطلة على حمام السباحة، تنظر إلى المطر المتساقط على القبة الزجاجية.

اقترح "جاريد":

– قد نستطيع أخذ حمام.

– لم أحضر لباس البحر معي.

www.liromancia.com

– إنك لست في احتياج إليه .

أعقبت ذلك فترة صمت قد يبدو خلالها صوت سقوط دبوس وكأنه انفجار قنبلة ذرية. كان كلاهما يحبس أنفاسه. وأخيرا عندما تمكنت "لوري" من الكلام قالت بصوت مكتوم:

– وبعد الحمام؟

– الحب.

كانت "لوري" لا تبعد نظرها عنه.

أردفت:

– أعتقد أني سأتناول أي مشروب.

– وبعد؟

– سنعمل على إنقاذ محلي.

لم تكن له رغبة في التحدث عن الأعمال. ليس بعد، كانا قد قضيا طوال الأسبوع في مناقشة المبيعات، و المخاطرات، أقساط الدفع.. إلخ.. كان "جاريد" يعرف الكثير عن محلها، والقليل عنها. لقد تصرف حتى الآن معها كشخص مهذب "جنتلمان"... ولقد فاض به.

لم يعد يحتمل الانتظار. قال لها:

– "لوري" إني أرغبك ومشتاق إليك وإذا اعترفت بصراحة: إنك أنت أيضا تبادلينني نفس هذا الشعور.

أجابت:

– إن الرغبة لا تكفي. يلزم أيضا الاحترام والمصالح المشتركة و...

لم تنه جملتها لكنه كان يعلم قصدها... الحب... نعم لابد من الحب.

اقترب منها بهدوء قائلا:

– "لوري". إنك مهمة جدا بالنسبة لي. جدا. بصوت يكاد يكون طفوليا، وضحت مخاوفها:

– لقد تزوجت مرة واحدة وكان هذا ارتباطي الوحيد... ولكن لم يكن النجاح حليفي.

– هذا لا يعني أننا معرضان للفشل. لقد أحببتك منذ اللحظة التي

رأيتك فيها.

تعتمت نظرة الفتاة، وازدادت ضربات قلبها. استطرد "جاريد":

– "لوري". لا أدري إذا كان ما أشعر به نحوك يستحق أن يدعى حبا، ولا أستطيع التأكيد لك أن هذا سوف يدوم إلى الأبد. لكن إذا ما اتفق اثنان في شيء واحد وهو أن يرغب أحدهما في الآخر فهذا يعتبر أمرا إيجابيا.

وكعادته وضع إصبعه على معصمها. حينئذ أردفت "لوري" وقد وجدت مجالا للمزاح:

– لا داعي للتأكد. إن نبضي يزيد على المائة!

أمسك "جاريد" بعد ذلك بيد "لوري" الصغيرة في يده ووضعها على حلقه.

– إن نبضي سريع أنا أيضا مثل قلبي.

أبعدت الفتاة يدها، ووضعتها على صدرها قائلة:

– أصدق إمكان حدوث ذلك بصعوبة؛ إذ كنت أعتقد أني سأعرف كيف أقاومك، وأن تكرار مشاهدتك سوف يبرئني منك.

أيضا قبل خروجي من منزلي حاليا، كنت مقتنعة بأنه في إمكاني المجيء إلى هنا دون التعرض لأي خطر. إذ أرى أنني راشدة، وأني قد تخلصت من ملاحقة رجل ناضج مثلك. وكم كان منفرا!

– وهل تعتبرين رجلا في الثامنة والثلاثين من عمره مسنا؟

– إنه يبدو شابا أكثر فأكثر.

– وهذا يعني؟

هزت كتفيها وابتعدت. وقفت قليلا في الصالون، ثم التفتت نحوه:

– "جاريد" كيف تراني؟

لم يكن "جاريد" واثقا فيما كانت "لوري" تتمنى سماعه منه لكنه قال في غير تردد:

– مثل فتاة جميلة جدا، جذابة.

ابتسمت "لوري"، ثم ألقت بنفسها على الأريكة المكسوة بالقطيفة الحمراء ثم خلعت حذاءها ووضعت قدميها العاريتين على الموكيت

السميك:

– أنا لست جميلة، ولا أرى نفسي بالتأكيد جذابة.

– وكيف ترين نفسك؟

ربما كانت المشكلة تكمن هنا، إن الصورة التي لها عن نفسها مضادة لتلك التي له عنها. اجتاز الغرفة، وأتى لكي يستقر بجانبها. كان يريد أن يدعها تتكلم دون التأثير عليها.

قالت:

– سؤال وجيه.

ألقت بعد ذلك برأسها على المسند، وأغمضت عينيها.

استطردت:

– عندما أتواجد مع "كابيتين" أرى نفسي قوية ومؤهلة... وفي المحل بائعة ممتازة، لطيفة ونشيطة.

كان "جاريد" متفقا تماما معها في هذا الوصف؛ إذ كان لا يمل من الإعجاب بنشاطها.

– ومعي؟

– أشك في نفسي؛ لذلك أتخذ الحذر؛ وأستعد للدفاع من فرط الخوف. لمس شعرها. وجده في نعومة الحرير.

– كان لا ينبغي أن تكون مشاعرك على هذا النحو.

– تعتريني أحيانا ردود فعل طفولية، وأنا فعلا أمقتها. أنا لا أريد أن أكون على هذا الوضع يا "جاريد". لن أكون هكذا أبدا فيما بعد.

– إنك لست طفلة.

– أتعتقد ذلك. إنك تثيرني يا "جاريد" عندما تلاطفني؛ لذلك تلاحقني رغبة في الهروب قبل أن أتعلق بك. وعندما تحضر طرفي، وتحدثني عن أعمالي أشعر بالاحتياج إلى أن أكون لك بكليتي.

ثم التفتت إليه وواجهته قائلة:

– كنت أظن أني أمسك تماما بزمام حياتي، وأني لم أعد محتاجة إلى رجل، وأنه في إمكاني الاكتفاء بمهام الإنقاذ والمحل. وها هي ابنة أختك تأتيها فكرة جيدة بالخروج، تجعلها تضل طريقها.

– وهانا وأنت قد تعارفنا.

ثم دار حول الأريكة لكي يأتي ويجلس بجوارها. لقد تركها بمفردها لفترة طويلة.

– أرغب في ضمك إلي بين ذراعي. وأن أقول لك: إن الأمور ستتخذ مسارا حسنا.

ضمها إليه قبل أن يستطرد:

– إذا تحدثت عن تغيير في الأفق، بالنسبة لي فقد تم هذا التغيير معي بسببك. أمامك يا "لوري" رجل كان يظن أن في إمكانه الاكتفاء بذكريات زيجة سعيدة مع زوجة رائعة، مثالية، لكن هانذا منذ ثلاثة أسابيع ليس أكثر وأنا لا أتمنى سوى أن أكون معك؛ ولكي أكون صادقا لقد كان الفشل من نصيب رياضة الجولف التي مارستها هذا الصباح؛ لأني كنت لا أفكر إلا في لقائك. ومتعة البقاء معك.

أطلقت "لوري" حينئذ ضحكة مكتومة، ولاطفت وجهه طويلا..

– أما بالنسبة لي لقد قمت بعملية نظافة موسعة؛ لأني كنت في أمس الحاجة إلى تدريب جسدي عندما كنت أفكر في وسائل مختلفة أستطيع بها عدم الاقتراب منك.

– وهل حصلت على إحدى هذه الوسائل لكي تعملي على تنفيذها؟

– لا. بل إن مشكلتي هي أني لا أتمنى منعك.

أخيرا شعر "جاريد" بالارتياح، واثقا من أنها مالت إليه وأصبحت مستعدة لأن تهب نفسها له. ثم قبل أن تتراجع طلب "جاريد" من "لوري" أن يقضيا معا سهرة ممتعة، يتجاذبان فيها كلمات المودة ويعملان على التقرب أكثر فأكثر من بعضهما بعضا.

وكانت "لوري" لا تكف عن ترديد اسم "جاريد" الذي كان وقتئذ في قمة السعادة.

– يساورني إحساس يا "لوري" بأني أعرفك من زمن بعيد.

– أمر عجيب إنه نفس الشعور الذي يعتريني. إنه بالضبط ما أفكر فيه منذ أن تقابلت معك.

– إذن هيا بنا إلى حمام السباحة.

– الآن؟

– نعم. "بيكي"، "توم" والأولاد رحلوا إلى "سان لويس" لقضاء اليوم هناك؛ وبذلك سيكون لنا الهدوء التام.

بالإضافة إلى أنه كان يعلم أن أخته لن تباغتهما من الآن فصاعدا.

وهكذا أخذا يسبحان تارة، ويتوجهان إلى الحجرة تارة أخرى في مودة وألفة... أخيرا بعد أن أخذ دشا بدأ "جاريد" في تسخين الوجبة التي كانت "ماجي" قد تركتها له في الثلاجة.

أعد المائدة في حجرة الطعام المضاءة بالشمعدانات الكبيرة الفضية، وتناولا العشاء على أنغام موسيقى لـ"موزار".

وفي نهاية الوجبة شعرت "لوري" بالاسترخاء التام... وأغلقت عينيها. أما "جاريد" فكان يشعر بالارتياح وقد أخذ يسحر "لوري" ويرقبها وكذا يحماسها. وإن كان يرغب في بقائها بالقرب منه، إلا أنه كان عليه أن يعمل على حل مشاكلها المالية، وكان الوقت مناسبا للتحدث في ذلك. استأذن وأحضر الأوراق التي بسطها أمام الفتاة.

– لقد انتهيت من دراسة الأرقام التي سلمتها لي ولقد، عملت أيضا على استشارة صديق خبير بشؤون المشاريع الصغيرة. ثم توقف لحظة عالما أنها ستسأله:

– وماذا كان رأيه؟

– إنه يجب عليك العمل على بيع المنزل والمحل.

بدت خيبة الأمل على وجه الفتاة.

– وبعد ذلك ما الذي ينبغي عمله؟ العودة إلى "شيكاغو" مهزومة والالتجاء إلى "جريج" الذي كان من رأيه أنه مشروع فاشل.

– لا.

لم تكن في نية "جاريد"، تركها ترحل، وخاصة أن تتجه نحو رجل آخر. استطرد:

– وجب أن تعثري على شريك جديد.

– ولا حل غير ذلك؟ ليس بالأمر السهل يا "جاريد". لقد كنا "ريث" وأنا صديقتين قبل اتخاذ قرار هذه الشركة. وبالرغم من ذلك كانت لنا

وجهات نظر مختلفة ولاقينا بعض الصعوبات؛ لذلك لا أستطيع العمل مع أي شخص كان. مع مجهول.

– إذن عليك باختيار من تستطيعين العمل معه. أنا مثلا.

فتحت "لوري" فمها واسعا، لكن دون أن تنطق بكلمة واحدة ولا حتى أن تصدر صوتا. ومع ذلك لم يكن المقصود من جانب "جاريد" هو دفعة وقتية. لقد فكر جديا في الموضوع. قال:

– وإن كنت لا أتمتع باستقلال مالي كاف، إلا أنه في إمكاني السماح لنفسي بهذه المخاطرة.

نهضت "لوري" وأردفت معترضة:

– تخاطر؟ آه. ترشح نفسك كشريك، معتبرا محلي مشروعا معرضا للفشل أو للمخاطرة.

نهض "جاريد" بدوره، ثم فكر في أن هذه الحركة غير مناسبة. قد ترى فيها "لوري" محاولة لإخضاعها بقامته الفارعة. فما كان منه إلا أن جلس ثانية على الأريكة.

– تعقلي يا "لوري". إن أعمالك في موقف صعب. توجد أزمة قومية، والحيوانات الأليفة تعتبر بذلك ترفا.

على سبيل المثال كان بوتيك مثل الذي تمتلكه "لوري" يجد مجالا قويا للنجاح في "شيكاغو". لكنه كان يرغب في أن يكون هذا المحل في "نورتون" وليس في "شيكاغو".

استطرد:

– كل ما أهدف إليه بقولي هذا: هو أني أمتلك مبلغا من المال يسمح لي باستثماره في تجارتك. كما أني أتعشم أنك ستبيعين أطنانا من الأغذية إلى خواصّك؛ وبذلك تضاعفين سهمي. لم أغفل أيضا عن التفكير في وسائل عديدة لاجتذاب الزبائن.

– إذن لديك أفكار.

كانت "لوري" تنطق كل كلمة من كلماتها بعناية دون أن تبعد نظرها عنه، ثم هزت رأسها. لقد تحولت الشريكة الرقيقة الآن إلى فتاة مستعدة للمواجهة والمقاومة.

اجتازت الحجرة واتجهت إلى النافذة التي تطل على حمام السباحة. سمعها "جاريد" وهي تدمدم بجملة لم يتحقق منها، سوى بالكلمة الأخيرة:

- ... مثله.

سألها:

- مثل من ؟

أردفت دون أن تلتفت:

- "جريج".

- لقد مللت مقارنتي به. بطليقك هذا.

- كف عن التصرف مثله.

انتصب "جاريد" فجأة:

- كنت باقتراحي هذا أعتقد أني أساعدك، وأنك ستجدين في ذلك منفذا للحصول على المال اللازم لشراء نصيب "ريث". وإذا كنت مقتنعة بأن مشروعك خال من المخاطر؛ فهذا يرجع لعدم مراجعتك للأرقام التي أطلعتني عليها طوال الأسبوع. إنك تقومين بصعوبة على إنهاء كل شهر، وبعد سفر "ريث" عليك إما بالتخلي عن عمليات الإنقاذ، والتفرغ التام لمحلك وإلا فقدت المكان.

- قد أيقنت أني لم أنتبه إلى الأرقام. هل لديك ملاحظات أخرى؟

- لا.

كان "جاريد" لا يفهم سر إساءة ظنها بأقواله. كان يكتفي بعرض الأحداث عليها أما هي فكانت تغتاظ.

ثم لفترة طويلة لم تبعد "لوري" نظرها عنه. وكان لا يسمع إلا دقات ساعة الحائط وصوت تساقط الأمطار التي لم تتوقف طوال فترة بعد الظهر. تعتم النهار وكأنه يعكس حالة "جاريد" الفكرية في هذه اللحظة... توقف تماما عن الكلام؛ إذ يبدو وكأنه قد أطال الحديث.

في تمتمة قد تسمع بصعوبة قالت "لوري":

- هل سررت لمعرفتك بأنه ليس لي الخيار؟

- أحاول فقط أن أكون نافعا.

واجهته:

- إني في احتياج إلى وقت للتفكير.

وافق "جاريد"، عالما بأنها لن تطيل المدة؛ لأن "ريث" متعجلة.

أضافت:

- كما أني في حالة قبولي حصولك على نصيب "ريث" أرجو أن يتم ذلك في إطار القانون. أي أني أرغب في الحصول على عقد بيننا يوضح التزاماتنا.

- عن نفسي أنا لا أجد مشكلة في ذلك. لم إذن تخافين يا "لوري"؟

- أن تقوم بإدارة كل المشروع.

ابتسم؛ إذ وجد أنه لا غرابة في مخاوفها هذه.

- أنا مشغول دائما في شركة "نورث". أيضا أنا لست خبيرا بأمور الحيوانات. لماذا إذن سأقوم بمبادرات في أمور أجهلها في محلك؟

- ولماذا تعرض علي استثمار ما لك في محلي؟

- لأني أرغب في بقائك في "نورتون".

أراد "جاريد" أن يكون صريحا واضحا، لكنه علم من الطريقة التي تنظر إليه بها أنها كانت تتمنى نمطا آخر. حكت رأسها وقالت بعد تفكير:

- ربما يكون ذلك اختبارا. فرصة تثبت لي بها أنك تبدلت.

- أنا لا أفهمك.

- ولا أنا. على كل حال لا تنتظر مني أن أصفق لكل اقتراحاتك لمجرد أني قضيت معك ليلة صفاء.

متى ستضع ثقتها به؟

- كل ما أتمناه هو الصراحة في علاقتنا المهنية، بنفس القدر الذي تكون عليه في علاقتنا الخاصة.

- كنت صريحة معك. لقد أخبرتك منذ البداية أنك ترهبني!

الفصل العاشر

وكما كان "جاريد" يتمنى وافقت "لوري" على عروضه، ووقعا على عقد اتفاق محرر في صيغة جيدة تضمن لكل منهما حقه.

وكان "جاريد" مثل "ريث"، شريكا بنسبة خمسين في المائة. أكدت الفتاة أن يكون بالعقد فقرة توضح حق كل منهما في حالة الانفصال. لم يكن "جاريد" يفكر بالتأكيد في جعل أجل لعلاقتهما، وكان كل يوم يمر يقوي اقتناعه بأنه لن تكون لهما نهاية. تعلم كل منهما خلال شهر أغسطس (آب) معرفة ميول الآخر بصورة أوضح. في هذه الفترة استمعت "لوري" إلى شرائط كاسيت لـ"باخ" و"بيتهوفين" و"موزار" التي كان يستعذبها "جاريد"، وشرحت له الفرق بين الـ"هارد روك" والـ"روك" الذي كانت تقدره.

أما نهاية الأسبوع فكانا يقضيانها معا في السباحة. علمها أيضا رياضة الجولف. وهي كانت تدربه على العدو في الغابات. لم يغفل أيضا إعادة ترتيب حجرة المعيشة التي أضافت "لوري" إليها لمسة أنثوية، وكذا إلى باقي أرجاء الڤيلا.

رويدا رويدا اعتاد "جاريد" المرور على البوتيك عند خروجه من المكتب. وكان أحيانا يخرج قبل الموعد المحدد؛ لكي يساعد "لوري" على تنسيق الأرفف، والقيام بعمل قائمة جرد البضائع، وإيجاد أفكار جديدة، ولم تلبث سكرتيرته أن سجلت في الحال هذا التغيير في العادات.

وذات يوم جمعة في فترة بعد الظهر أثناء مروره أمام مكتبه، نظرت إلى ساعتها. سألته:

– هل ستراجع مشاريعك؟

– بالضبط يا "جراس"، إننا ندرس الآن شركة جديدة. إذا كان الناس يعرفون فلسفتها ضد بقاء الحيوانات في الأقفاص لاستطعنا جذب كثيرين ممن يدافعون عن حقوق الحيوانات.

– وعمليات الإنقاذ؟

– إنها تواصل العدو كل يوم مع كلبها، وتدربه مرة أو مرتين كل أسبوع،

لقد اصطحبناه إلى أنحاء "سپرينج فيلد" ثم إلى بلدة "بيكي"؛ لكي يعتاد أماكن مختلفة. لكن لم يتصل بها أحد منذ شهر يوليو (تموز).

– إنها تناسبك تماما.

كانت حياة "جاريد" قد اتخذت شكلا جديدا منذ أن عرف "لوري". لقد تجددت حيويته.

فوجيء عندما وجد المحل مغلقا، لم تكن الساعة إلا الخامسة فقط، وكانت "لوري" تنوي أن تعمل حتى الساعة السادسة عندما تصل "دونا" وهي بائعة تتبادل معها لفترة معينة؛ إذ كان من بين الأفكار الجديدة أن يبقى المحل مفتوحا حتى الساعة التاسعة مساء.

فتح "جاريد" الباب بمفتاحه. اخترق المبنى وولج إلى المسكن، لم تجب "لوري" على مداعباته. كان الصمت يسود المكان. ساورته فكرة أنها ربما تكون قد توجهت إلى مهمة ما.

عاد إلى المحل ووجد رسالة ملصقة بالخزانة:

"اعتداء على بنك في "هاريسبورج" ويرغبون في معرفة ما إذا كان في إمكان "كابي" العثور على اللص. كلف "دونا" بالقيام بأعمال الخزانة. إذا كانت في "هاريسبورج" فسيتوجه إلى هناك. وعندما كان يتأهب للخروج سمع دقات جرس التليفون متوقعا أن تكون "لوري". أسرع إلى حجرة المعيشة ورفع السماعة. سمع صوت رجل يرد على كلمة آلو بقوله:

– من أنت؟

– "جاريد نورث" وأنت؟

– "جريج" زوج "لوري".

شعر "جاريد" كأنه تلقى لكمة في معدته.

– زوجها؟

– السابق إذا شئت. على أي حال فإنها ستعود لي. إن صغيرتي تعود دائما إلي إن عاجلا أو آجلا.

– لو كنت في مكانك ما توقعت ذلك أبدا.

– ماذا أخبرتني أنك تدعى؟

– "نورث".

ثم أضاف:

– "چاريد نورث" خطيب "لوري".

– خطيب؟

– نعم.

ربما تكون الخطبة تمهيدا، لكن مع علاقتهما هذه يبدو أن الزواج سيكون أكيدا. ومن خلال الصمت الذي ساد الاتصال الهاتفي استطاع "چاريد" سماع تنهيدة مؤلمة، ثم توضيح للحلق وأخيرا:

– "لوري" موجودة؟

– لا. إنها في مهمة.

– مازالت تهتم بأمور الإنقاذ؟

– نعم.

كان "چاريد" يحاول تخيل الرجل، وكانت الصورة في ذهنه لرجل طويل وقوي وجاف.

– حسنا أخبرها بأني اتصلت بها.

– لن أهمل ذلك.

وكان "چاريد" صادقا في وعده؛ إذ كان يرغب في معرفة المزيد عن الرجل الذي كان قد تزوج "لوري". هذا الرجل الذي مازال مستمرا في الاتصال بها؛ ظنا منه أنها ستعود إليه ذات يوم.

كانت "هاربسبورج" مدينة صغيرة. لكن "چاريد" لم يجد "لوري" و"كابي" بسهولة كما كان يتوقع. مر أمام أربعة أو خمسة بوتيكات قبل اكتشاف سيارات الشرطة. ركن سيارته على مقربة من هذا المكان.

اقترب "چاريد" من أحد رجال الشرطة.

أردف:

– إني أبحث عن فتاة وكلبها، إنهما يلاحقان لصا. ينبغي ومن المفروض أن أعاونهما.

أشار الرجل بذقنه جهة اليمين.

– إنهما هناك عند منطقة السوق. لقد رحل الجاني في هذا الاتجاه. إنه

يختفي في أحد هذه الأبنية، أو أبعد من ذلك قليلا هناك في الغابات.

عاد "چاريد" إلى سيارته. واستفسر عن أقرب طريق للوصول إلى هناك فساله الشرطي بعد أن دله على الطريق، وقد بدا الشك على ملامحه:

– هل أنت حقا مع الفتاة وكلبها؟

– نعم.

وكان يشعر أن من واجبه أن يكون معهما. الموقف الآن لم يعد مختصا بفتاة صغيرة. ضالة، إنما بلص ربما يكون من الخطرين.

أضاف الشرطي:

– إنها دقيقة، ضئيلة.

أيد "چاريد" ذلك بإشارة من رأسه.

استطرد الشرطي متأثرا:

– وهي لطيفة.

فما كان من "چاريد" إلا أن أيد قوله مرة أخرى.

ابتعد "چاريد" دون أن يضع في الاعتبار حدود السرعة، وأخذ يجول في المدينة كلها مثل الشهاب. ولما وصل إلى المكان المحدد لاحظ سيارة "لوري" محاطة بكم من سيارات الشرطة. وبرجال الشرطة في زيهم.

عندما نزل من سيارته الـ"كاديلاك" ناداه أحدهم:

– إنك لا تستطيع البقاء هنا يا سيد.

– لكني مع "لوري كراوفورد" الفتاة التي تصطحب الكلب.

نظر الممثل القانوني نظرة شك إلى "چاريد"، الذي تحقق من أن بدلته لا تدل على اشتراكه في هذا العمل؛ لذلك أخرج الورقة من جيبه ووضعها أمام عيني الرجل مدمدما:

– لقد تركت لي رسالة، تطالبني فيها بأن ألحق بها. ولم أجد حتى الوقت اللازم لكي أبدل ملابسي...

لم يفكر "چاريد" فيما إذا كان الشرطي سيقرأ حقا ما كتبته "لوري". لكنه فهم أنه يكذب. أراه فريقا من الناس وأوصاه بالتوجه إليهم. انصرف "چاريد" جريا. عند وصوله سمع الراديو كان صوت رجل يعلق:

– أعتقد أننا حصلنا عليه. الكلب يلح في الاقتراب من كومة قش

قديمة. أمسكت الفتاة بالكلب و...

انقطع الإرسال ثم عاد ليعلن:

– احذروا. إن.. إن الخصم يلاحقنا. تلا ذلك فترة صمت ثم:

– لقد سقطت.

كان هذا يفوق احتمال "جاريد". أخذ يجري مثل المجنون نحو المبنى الواقع آخر منطقة السوق... وكانت أصوات تصدر له أوامر، أياد تحاول الإمساك به. وأخيرا تسببت عرقلة في إسقاطه على ركبتيه.

ممددا على الأرض، وذراعه مثنية تحت ظهره، مكث "جاريد" بلا حراك تماما...

ثم صرخ قائلا:

– "لوري" قد أصبتُ !!

– أنت. لاتتحرك إلى أن نعلم ما قد تم بالضبط.

الأمر الذي– حسب رأي "جاريد"– احتاج إلى وقت وكأنه دهر. كان هناك رجال ونساء في زيهم يمرون حول المنطقة. وبيد كل منهم مسدس... وأما جلاده فكان يستجوبه في غير توقف من هو؟ لماذا يسعى إلى الهرب منهم؟ وماذا كان يعمل هنا؟

وكان "جاريد" يجيب بانات:

– ينبغي أن أعثر على "لوري". إني أعمل معها. أنا شريكها.

ربما كانت الفتاة تموت في هذه الأثناء، أو قد تكون ماتت. كان يعلم أن "جوان" كانت مهددة بالموت لكن "لوري".

كانت في قمة الشباب، والنشاط والحيوية وحب الحياة تلك الفتاة التي كان يحبها ولم يعلن حبه لها أبدا حتى الآن.

وأخيرا رآها. بدت على زاوية المبنى واضعة يدها على عنق كلبها. بالقرب منها كان أحد رجال الشرطة، وكان شابا ينظر إليها، كأنها من ذهب أو من كريستال. ضحكت "لوري" لشيء ما قاله لها.

كانت حية ومسرورة. وقف "جاريد" على قدميه في اللحظة التي أطلقوا سراحه فيها، ونظف بنطلونه مما كان قد علق به من تراب دون أن يتحرك من حيث كان انتظر راجيا أن يكون لعينيها نفس اللمعان، وعندما اقتربت

"لوري" صاح "جاريد":

– ما الذي يحدث؟

ارتسمت الدهشة على وجه الفتاة:

– "جاريد"! ماذا تعمل هنا؟

– كان من المفروض أن أكون أنا الذي أوجه إليك هذا السؤال. ألم يكن من الواجب عليك أن تتواجدي في "نورتون" في محلك بدلا من أن تقومي بلعبة "عسكر وحرامية" وتخاطري هكذا بحياتك؟

أجابت بنبرة جافة:

– إني أقوم بعملي!

– إن عملك هو البحث عن أناس مفقودين شاردين: أطفال، مسنين، ضحايا حوادث، ولكن ليس هنا. ليس لك عمل هنا.

– أنا لا أختار نوع العمل إنما أذهب إلى حيث يطلب مني.

ثم مشيرا إلى اللص الذي كان رجال الشرطة يضعون في يديه القيد قال:

– حتى وإن كان المطلوب هو مطاردة جناة؟

– بالتأكيد.

– آه. هذا لأنك تحبين إطلاق الرصاص عليك؟ إن هذا يثيرك، هيا يا "لوري" تعقلي. إنهم لا يقتلون الناس بدون مقابل.

انتصبت حينئذ أمامه وقد تعتمت نظرتها. كان يعلم أنها في أعلى درجات الثورة فحاول أن يبرر أقواله:

– "لوري". لقد ظننت أنهم أطلقوا عليك الرصاص.

– بالضبط.

نظر إليها "جاريد" من أعلى إلى أسفل. لا وجود لأي آثار دماء. قالت:

– إنه أنت الذي أطلقت علي!

ثم أدارت له ظهرها. وتناولت الحديث مع الضابط الرئيسي.

أثناء بقائهما في "هاريسبورج" لم تخاطب "لوري" "جاريد" أبدا...

كان "كابي" بطل اليوم و"لوري" نجمته، التقطت لها صور، تمت معها أحاديث من قبل مراسلي الصحف المحلية، نالت إعجابا وتمنيات بالتوفيق،

وتهاني من السلطات. وأثناء طريق العودة شعر "جاريد" أنه مهمل لما لاقى منها من برود. وفي اللحظة التي كانت "لوري" تهرب فيها إلى الحمام أمسك "جاريد" بذراعها... فما كان من الكلب إلا أن أصدر صوتا مهددا. كان سيتردد في ظروف أخرى، لكن في هذه المرة تجرأ وعنف "كابي":

– لا تتدخل فيما لا يعنيك. ارقد.

وكم كانت دهشته لما أطاعه "كابي".

انفجرت "لوري":

– رائع. حتى كلبي يخونني.

– أنا لست خائنا.

– آه لا.. إنك أسوأ من ذلك. كيف استطعت القيام بذلك لي؟

لم يطلب تفاصيل. كان يعلم. لقد وضعها في موقف سخيف أمام رجال الشرطة والمجتمع. لكن وقت التراجع كان قد فات.

– لم أقم بذلك عمدا يا "لوري". يا إلهي! لقد ظننت أنهم أطلقوا عليك الرصاص وأني فقدتك!!

– بلا أدنى شك.

قالت هذا ببرود جعله يصدقها ثم قال لها:

– أحبك.

– بالتأكيد. أتعلم أن غيرك كان يردد لي هذه الكلمات بعد أن أخضعني وأذلني تماما.

– "جريج"؟ إني أستنتج ذلك.

– نعم.

– لقد اتصل بعد ظهر اليوم.

– آه. إنه يتصل دائما.

لم ينتبه "جاريد" إلى أن "جريج". لم يكلمها أبدا في حضوره

– عم تتحدثين؟

– عن لا شيء. لقد اشتريت جهاز استقبال المكالمات، حتى لا أضطر إلى التحدث معه، فكان يكتفي بترك رسائل حاليا، ابتعد عني، اخرج من

عندي ومن حياتي.

– أنا لا أفكر في الانصراف.

– لقد انتهى كل ما كان بيننا.

جرحته كلماتها إلى حد الموت. غير أن ارتجاف شفتها السفلى كان يمنحه قليلا من الأمل.

– "لوري".

– "لوري". لا شيء بالمرة. لن يتمكن أحد– بعد الآن– أن يعاملني مثل طفلة.

امتلأت عيناه بالدموع وصارت نبراته ضعيفة:

– وجب أن تفهمي. إن الناس أحيانا يتفوهون بعبارات أو كلمات غير مقصودة عندما يقعون تحت تأثير صدمة ما. ولقد كنت متأثرا بغباء.

– مثلي.

سالت دمعة على وجنتها في الحال. وبدت أصغر مما هي عليه وأكثر ضعفا، ولكنها بسرعة تمالكت نفسها وعادت "لوري" التي لا تقمع. قالت:

– لقد حان الوقت لكي أحدثك عن "جريج".

– هذا ما أتمناه.

– كان يعاملني مثل فتاة صغيرة، يملي علي ما ينبغي أن أعمل، وما لا ينبغي عمله. لزمني وقت طويل حتى أكبر وأعارضه وهانذا الآن لا أرغب في العودة إلى الخلف. لن أتراجع.

– لا جدال في أن يكون لنا هذا النوع من التناسب. ربما تكونين قد استغرقت وقتا طويلا للنمو، لكنك حاليا بالغة كما أنك تتمتعين بالقوة اللازمة لمنع أي رجل من التحكم في حياتك.

ومع ذلك كان هذا ما حاول "جاريد" القيام به. اجتاز حجرة المعيشة، وذهب لكي يجلس على الأريكة بالقرب من "كابي"، كان قد اعتزم البقاء والتحدث إلى "لوري" ولكن كانت المبادرة من قبلها:

– لماذا– بربك– أتيت إلى "هاريسبورج"؟

– لأن مجرد فكرة مواجهتك للخطر أفزعتني. لقد فقدت زوجة كنت

أحبها حاولت إبقاءها على قيد الحياة كنت يقظا.

– إني شجاعة.

– لا شك في ذلك، لكنك لست معصومة من الموت.

أخذ "جاريد" بطريقة آلية يحك الكلب خلف الأذنين.

– عندما سمعت الطلق الناري أيقنت أني فقدتك.

انخفض نظر "لوري" نحو كلبها.

أما أنا– عندما سمعت هذا الطلق– فاعتقدت أني فقدته، وهذا الصغير المسكين لابد أن يكون قد اعتقد أنه قد أصابني جنون.

– إننا معشر الآدميين كثيرا ما ناتي بافعال بعيدة عن التعقل عندما يعترينا خوف من أجل عزيز لدينا. آسف يا "لوري" وإذا لزمني إعادة هذا الموقف فسوف أعيده.

– وأنا أيضا.

– امنحيني فرصة أخرى.

– لقد منحت "جريج" فرصا عديدة. وأنا مدينة لك بواحدة على الأقل.

أفسح لها المكان؛ لكي تجلس هي أيضا على الأريكة.

– كلميني ثانية عن "جريج".

– إن حياتي مع "جريج" ليست موضوعا مثيرا.

لم يكن "جاريد" يجهل ذلك؛ إذ إن "لوري" كانت متحفظة جدا بشان خطيبها. كما أنها كانت تتملص في كل مرة كان يحاول التطرق إلى موضوع زواجها. لكن في هذا المساء كان "جاريد" مصرا على معرفة كل شيء.

– لقد علمت منك أنك قد تزوجت لفترة لا تتجاوز ثلاث السنوات.

– ليس بالضبط إنما لقد قلت: إني عشت مع "جريج" ثلاث سنوات.

– وتم طلاقكما منذ...!

– ست سنوات.

– إذن كنت في العشرين من عمرك عندما بدأت حياتك معه؟

– لا.

نظر إليها "جاريد" دهشا، فادلت بالآتي:

– عندما تزوجنا كنت في السادسة عشرة من عمري.

– تزوجت في السادسة عشرة من عمرك لكن هذا..

– جنون. نعم. إذن لقد تزوجت "جريج" في السادسة عشرة. ولقد عاملني خلال عامين مثل طفلة؛ لأني كنت في الواقع هكذا وقتئذ. وكنت في كل مرة نتشاجر فيها أذهب عند والدتي أو عند صديقة... ثم أعود إليه وأقوم بالدور الذي يرضيه، دور الفتاة الوديعة المطيعة... وفقط بعد عيد ميلادي الثامن عشر رحلت بعيدا عنه تماما.

ثم توقفت برهة قبل أن تستطرد:

– في هذه المرة رحلت لكي أعيش مع إحدى خالاتي في "كاليفورنيا". كنت قد عزمت على أن أكون سيدة. تابعت دراسة مسائية، وحصلت على البكالوريا وكنت أعمل هنا وهناك في نفس الوقت. اضطررت للتوقف عن دراستي الجامعية لافتقاري إلى المال. عدت إلى "شيكاغو" في الثانية والعشرين من عمري. وقد قررت الحصول على الطلاق وبدء حياة جديدة. غير أن "جريج" طلب مني –لا بل توسل إلي– أن أعطيه فرصة أخرى.. كان هذا ما قمت به ظنا مني أنه طالما أصبحت رشيدة علي بالتصرف بطريقة تختلف عما كنت عليه. في الحال أصبح "جريج" أكثر تسلطا وأما أنا فكنت أتصرف مثل صبية.

– ثم تركته مرة أخرى.

– نعم. لكن في هذه المرة طلبت الطلاق، استاجرت مسكنا خاصا، واشتريت "كابي" غير أن هذا لم يمنع "جريج" من التردد علي بلا انقطاع؛ لكي يعرض علي إرشاداته حتى أكون حياتي. حتى بعد الطلاق كان يعتبر نفسه مسؤولا عني، كان يعتقد أنه مضطر إلى توجيهي إلى ما يجب علي القيام به، وما لا ينبغي القيام به... لذلك عندما اقترحت "ريث" مغادرة "شيكاغو" لم اتردد لحظة واحدة. وهذه هي كل قصة حياتي.

– واستمر في الاتصال بك هاتفيا.

– على الأقل مرتين في الشهر.

– ولم تتحدثي معه أبدا؟

– نادرا جدا، يوم عيد ميلاده، بمناسبة رأس السنة الميلادية، أو عيد

الميلاد المجيد.

– ألا يأتي لرؤيتك؟

– لا. إن "جريج" يمقت الأسفار. كان قد أصيب– في حادثة سيارة خطيرة– في عموده الفقاري. وهذا يمنعه من السفر الطويل.

– وماذا كان دور والديك؟ كيف تركاك تتممين هذه الزيجة؟

– كان والدي قد توفي عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري فارتبكت حياتي وحياة والدتي منذ ذلك الحين. ولما كنت أحب "جريج"، وأتمنى الحياة معه سواء كنا متزوجين أم لا آثرت والدتي الطريق السليم.

– وهل مازلت تحبين "جريج"؟

كان يتوقع ما كانت تقوم به عادة عندما كانت تفكر. وأخيرا قالت:

– أعتقد أنه ينبغي أن أعترف بأني أحبه. ليس كما كنت أحبه عندما كان عمري ستة عشر عاما، ولا كما يجب على الزوجة أن تحب زوجها. في الواقع إني أحبه... بلا شك مثل أب.

– وهل ستعودين إليه؟

أجابت "لوري" بدون تردد:

– لا. وهذا هو ما يقلقني.

هو أيضا أي "جاريد" كان قلقا، كان لا يريد أن يفقدها... كانا قد اجتازا أزمة، غير أن "جاريد" كان يعلم أنه خان ثقتها بعض الشيء.

مد يده لكي يتناول يدها.

– أتعشم أن نسلك نفس الطريق، من الآن فصاعدا.

الفصل الحادي عشر

قادتهما الخطوة الأولى إلى حجرة "لوري". أفسحت الكلمات المجال للقبلات.

استلقت "لوري" في سريرها؛ لكي تنعم فيه بنوم مريح وأحلام سعيدة؛ إذ بدأت تطمئن إلى "جاريد". تركها هذا الأخير وقضى ليلته في المدخل.

وفي صباح اليوم التالي دخل إلى حجرتها على أطراف قدميه لكي لا يقلق نومها. كم كانت جميلة في نومها: فمها مفتوح إلى النصف، وأهدابها الطويلة تنزل على وجنتيها. استطاع "جاريد" على ضوء أول شعاع للشمس أن يلمح صورا فوتوغرافية على الكومودينو: "لوري" ووالدتها وزوج والدتها، والدها، و"كابي" لكن لا أثر لصورة لـ"جريج". كانت "لوري" قد أخبرته بأنها أعدمتها كلها حتى لا تترك له ذكرى... وهذا كان يسر "جاريد". كان مستعدا للدخول إلى أسرتها؛ لذلك كان عليه أن يقاوم ميله الطبيعي في حمايتها الذي كان يفسد العلاقة بينهما. سيكتفي بإعلان حبه لها، هذا الحب الذي بعثت "لوري" به إليه.

تمطت الفتاة ثم سألته:

– هل أنت بخير يا "جاريد"؟ أين قضيت ليلتك؟

– نعم. كنت على الأريكة في المدخل. هيا استيقظي يا "لوري".

– من الصعب أن أنهض.

– سأقترح عليك طريقة مجدية للاستيقاظ.

اقفزي من فراشك بكل سرعة، وتوجهي فورا إلى الحمام.

– وإلا ماذا ستفعل؟

– مثل أمس وأول أمس، إني أقترح عليك فترة راحة.

– بالمناسبة يا سيد "نورث" ألم أخبرك أبدا أن لك عينين زرقاوين من أجمل عيون العالم؟ عيون جذابة ذات سحر قوي.

– إن عيني ليستا ساحرتين.،

– ربما يكون صوتك. بسبب لهجة الجنوب.

– ليست لي لهجة أبدا.

ثم أمرها:

– انظري إلي يا "لوري".

فتحت الفتاة عينيها مع ابتسامة مشرقة.

استطرد:

– لقد صار كل واحد منا ملكا للآخر يا "لوري". الآن وغدا وإلى الأبد.

تمتمت:

– إلى الأبد.

حينئذ أشرقت الشمس على أجمل لحظات حياتهما. أغرقت العالم باشعتها الذهبية.

ثم بعد عشر دقائق كان "جاريد" يتساءل: هل سيأخذ دشا أولا أم أنه سيذهب لإعداد القهوة؟ سمعا خربشة "كابيتين" على الباب.

صاحت "لوري":

– إنه يرغب في الخروج. سأفتح له الباب ثم أعد القهوة...

استطردت:

– بالمناسبة لقد أخبرتني "دونا" أنها لن تتمكن من الحضور في فترة بعد الظهر؛ لذلك وجب عليك يا شريكي العزيز الحضور لمعاونتي. أخذ الكلب يشب، فنهضت "لوري"، غير أن "جاريد" أمسك بمعصمها؛ لكي يمنعها لحظة أخرى.

– "لوري" يجب أن نتحدث عن البوتيك... وعن أنفسنا.

– كل رغباتك يا شريكي العزيز.

سمعها بعد ذلك تتحدث بمودة إلى كلبها، تفتح له الباب ثم تتجه إلى المطبخ، وتعود بعد قليل حاملة القهوة الساخنة. وخلال تناول طعام الإفطار تناول "جاريد" موضوع البوتيك.

– منذ كم من الوقت لم تحصلي على إجازة؟

– منذ قرون يا "جاريد". إذ إنه من الصعب أن أنهض بمشروع جديد بالإضافة إلى تدريب "كابي".

– أيهما تفضلين؟ البوتيك أم عمليات الإنقاذ؟

– الإنقاذ بالتأكيد لكنه مكلف. وعلى الأقل إني آمل في الحصول على

قدر من المال من البوتيك.

– أذكر أنك قلت لي: إنك تتمنين القيام بتدريب فرق إنقاذ.

– بالتأكيد. عندما أحصل على اليانصيب الكبير وحتى لو أن الناس كافأوني بالمال فسوف أنتهي بالانسحاب. لقد فشلت في المرتين اللتين حاولت فيهما العمل مع الفرق؛ زوجة "بيتر" لا ترغب في تركه بمفرده معي، و"ديانا" سافرت إلى "باريس".

– وإذا وجدت من باب المصادفة الفرصة التي تجنبك الاهتمام بالجانب المالي. إذا كان –مثلا– لديك من المال أوفره وفي إمكانك تكريس نفسك فقط لإنشاء فرقك وتكوينها وتدريبها.

– سوف يكون الفردوس... ماذا تقصد يا "جاريد"؟

كان لابد من اتخاذ الحذر. كان لا يشك في حبها له. لكنه لم يكن واثقا في أنها وضعت ثقتها الكاملة به.

– أعتقد أنه في وسعنا بيع البوتيك واستثمار ثمنه، ربما نجد مكانا خارج المدينة، حيث يمكنك القيام بإعطاء الدروس وتدريب كلابك...

– إني لا أدري إلى ماذا تهدف؟

– أن تتزوجيني؟

– و....؟

لم يكن هذا هو رد الفعل الذي كان يرجو الحصول عليه. أين كانت المفاجأة؟ القبلات. وإذ شعر "جاريد" بالتخاذل ألح في قوله:

– ألم تسحرك فكرة الزواج مني؟

– لماذا كل هذا الاهتمام المفاجئ؟ تقترح علي إنشاء مدرسة للتدريب، تدفع لي ديوني. وهل يتفق ذلك مع ما حدث بالأمس؟

– السبب الوحيد الذي من أجله أطلب منك أن تتزوجيني هو أني أحبك.

– إذن نبيع المحل وننشيء المدرسة ثم نتزوج، بعد ذلك يطلب مني البحث عن لص. زوجي العزيز يرفض... هل هذا هو الثمن الذي علي أن أدفعه؟

عجز "جاريد" عن الرد. بالتأكيد كان لا يرغب في أن تعترض "لوري".

لكنه كان لا يستطيع أن يعلن لها ذلك.

سمعت طرقات على الباب فشكر العناية الإلهية على هذا التدخل. نهض، أبعد مقعده ثم قال:

– سأذهب لكي أرى من الطارق، ويكون لحديثنا بقية فيما بعد.

أخذ "جاريد" يفحص الرجل الواقف على عتبة الباب من أعلى إلى أسفل. كان الشيب يخط شعره، عيناه كانتا بلون أزرق، أغمق بعض الشيء من لون عينيه، قد يبلغ من الطول مترا وخمسة وسبعين سنتيمترا، له بطن صغير لكن الـ"تي شيرت" الذي كان يرتديه كان يكشف عن ذراعين مفتولتين ومنكبين عريضين.

وإن لم لكن ذلك بديهيا تماما. كانت هناك أوجه تشابه عديدة بينهما، جعلت "جاريد" يفهم في الحال أنه في مواجهة "جريج".

وأن ما لم تخبره به "لوري" عن زوجها السابق أنه يبلغ من العمر ما بين الخمسين، والخمسة والخمسين عاما.

.دون أن ينظر إليه سأل "جريج":

– هل أنت الخطيب؟

حينئذ فهم "جاريد" أنه كان من الأفضل أن يحتفظ بصمته في الليلة الماضية.

– هيه...

أتى صوت "لوري" من خلفه:

– صباح الخير يا "جريج".

أفسح "جاريد" الطريق لـ"لوري" لكي تمر. شعر بقلبه ينقبض عندما لمح النظرة التي وجهها "جريج" إلى "لوري". لقد بدت له مكتملة الأنوثة.

أردف:

– أرى أنك تميلين إلى التنكر.

– نعم يا "جريج". إنك تعرفني. دائما طفلة. لكن ألم يكن هذا ما كنت ترغب فيه؟

– لقد تغيرت يا عزيزتي كثيرا. ولن أعاملك مثل فتاة صغيرة.

– وأنا أيضا لقد تغيرت يا "جريج"، لن أعود معك وقد أخبرتك بذلك

منذ ست سنوات.

– إنك دائما فتاتي الصغيرة يا "لوري".

– لا. لقد انتهى ذلك يا "جريج".

– أوه "لوري" وماذا سيكون مصيري؟

دهش "جاريد" عندما رأى الرجل ينخرط في البكاء. لكن ثورته اشتدت عندما وضعت "لوري" ذراعها حول عنق "جريج" وواسته. كان قد أوشك على إعلان وجوده لهما عندما توجهت إليه "لوري" قائلة:

– هل تسمح بإحضار قدح من القهوة لـ"جريج" من فضلك؟ وهو ما قام به غير مرحب.

عندما عاد وجد أنها أجلست "جريج" على أريكة الصالون. كان يدخن. أما هي فكانت ممسكة بيده، وتحدثه في هدوء ومودة.

ابتسمت لـ"جاريد":

– شكرا. تناول قهوتك يا "جريج" ريثما أقوم بتبديل ملابسي. ثم نعود إلى حديثنا بعد ذلك.

جلس "كابي" في مواجهة "جريج" دون أن يبعد نظره عنه، لكن "جاريد" تبع "لوري"، وفور إغلاقها للباب انفجر:

– لماذا لم تخبريني بأنه في سن والدك؟

– لأني كنت أجد نفسي غبية.

– وهو وأنا؟ ألا ترين أننا متشابهان؟ هل تضعفين أمام الشقر ذوي العضلات القوية والعيون الزرقاء؟

– في إمكانك أن تتكلم حسب رغبتك. لقد صدمت عندما رأيتك لأول مرة، كان ذلك بالنسبة لي مثل عودة إلى الخلف. إن لك نفس العمر الذي كان لـ"جريج" عندما تزوجنا.

– أفهم. أنا أيضا صورة الأب بالنسبة لك.

نظرت إليه دون أن تجيبه واستمرت في ارتداء ملابسها.

– لماذا يا "لوري"، لماذا تتزوجين من الرجل الذي في عمر والدك؟

– ربما لأني كنت محتاجة إلى أب... أو ربما لأني كنت قد وقعت في حبه وقتئذ، ولم أكن أبلغ من العمر سوى ستة عشر عاما. ألديك أسئلة

www.elromancia.com

أخرى؟

– ألف.

تنهد "جاريد" وهو يرتدي قميصه الذي كانت "لوري" قد ألقت به على الأرض.

عادا– بعد ذلك– إلى حجرة المعيشة. جلست "لوري" على مقعد ذي مسندين، أتى "كابي" ووضع رأسه على ركبتيها. أما "جاريد" فوجد له مكانا في مواجهة "جريج" ثم سأله:

– هل حضرت بالسيارة يا "جريج"؟

– نعم. لقد رحلت مساء أمس، وقضيت المساء في "ماونت ڤيرنون".

فهم "جاريد" في الحال أن حديثهما التليفوني هو الذي دفع بالرجل المسكين إلى القيام بهذا السفر الشاق بالنسبة له.

– أردت معرفة كيف حال فتاتي الصغيرة.

– إني في أحسن حال. لا داعي للمجيء إلى هنا للتأكد بنفسك.

– هل ستتكلم يا عزيزتي أمام هذا الشخص؟

رن جرس التليفون في هذه اللحظة. ألقت "لوري" نظرة إلى "جاريد" ترجوه بها في صمت أن يرد. قام "جاريد" بذلك ساخطا.

عمل على تشغيل آلة الرد (الأنسرماشين) لأنه كان لا ينوي ترك "لوري" لفترة طويلة مع "جريج" ثم عاد عندما استطاع ذلك...

نداء تليفوني آخر جذبه إلى الآلة. في هذه المرة سمع صوت رجل:

– السيدة "كراوفورد". هنا الشريف "جاروود". لقد شاهدتك في التليفزيون مساء أمس في لقائك الرائع مع الشرطة، إذا حصلت على هذه الرسالة في الحال.

رفع "جاريد" السماعة قائلا:

– لحظة واحدة. سأناديها.

أسرع إلى الصالة وصاح:

– إنه الشريف. إنهم في احتياج إليك وإلى "كابي".

نهضت "لوري"، أمسكت بسماعة التليفون بينما وقف "جاريد" مستندا إلى إطار الباب، مركزا النظر على "جريج".

نهض هذا الأخير، وأخذ المسكين يمشي في الحجرة بالطول والعرض، ملقيا نظرة من حين إلى آخر على "جاريد"، ومشعلا سيجارة تلو الأخرى.

عادت "لوري" ثائرة:

– لقد هرب سجينان من منطقة الرقابة ومن المحتمل أنهما مختبئان بالقرب من "المسيسبي". إنهم يطلبونني أنا و"كابي".

– كيف ذلك؟

هكذا قال "جريج" دهشا!

جناة؟ اتصلي بهم وأخبريهم بأنك لن تتوجهي إلى هذه المهمة.

– آه آه– هكذا فكر "جاريد" ها نحن قد صرنا أمام الجانب الأبوي المتسلط".

– ما رأيك يا "جاريد"؟

كان يرغب في ضمها إليه، حمايتها من أقل خطورة. لكن كانت هذه هي اللحظة التي فيها ينبغي أن يثبت حبه لها.

– إن القرار لك.

تدخل "جريج":

– "لوري". تعقلي لا تكوني غبية.

تجاهلته. ومثبتة نظرها على "جاريد" قالت له:

– "جاريد" هل في إمكانك إحضار حقيبتي؟

رفع "جريج" صوته:

– ألا تسمعيني؟

وضعت يدها على ذراعه وقالت في ثبات:

– إنك مخطئ يا "جريج". أنا لم أعمل شيئا سوى الاستماع إليك. لقد استمعت إليك طوال ست سنوات، ولقد أخبرتك مرارا أن ما كان بيننا قد انتهى. والآن جاء الوقت الذي يجب عليك فيه أن تستمع إلي: إنك رجل رائع يا "جريج". لكني لم أعد أرغب في أن تمنح نفسك حق إرشادي إلى ما ينبغي أن أعمل أو لا أعمل، مفهوم؟

تقدمت خطوة إلى الأمام لكنه أوقفها:

– ألا تفكرين في التراجع هذه المرة؟

– لا.

ألقى نظرة إلى "جاريد" قائلا:

– أنا... أنا... كنت أعرف ذلك... بعد حديثي معه مساء أمس. كان من المفروض أن تخبريني بذلك بنفسك يا صغيرتي.

– لقد قلته لك منذ ست سنوات.

– نعم. نعم. بالرغم من ذلك ستظلين فتاتي، صغيرتي، اكتبي لي. أخبريني بأمورك.

– أعدك بذلك يا "جريج".

ملأت الدموع عيني الرجل الذي يزحف إلى الشيخوخة... ثم فجأة بدا عليه التعب. أما "جاريد" فقد شعر بالتعاطف معه عندما قال له:

– اعتن بها.

لم تطلب منه "لوري" أن يحضر. كما أنها لم تمنعه من ذلك. وعندما استعدت، كان هو الآخر مستعدا. كان قد ارتدى سويتر وچينز والحذاء الذي كان قد تركه عندها. أخذ أيضا المعطف الواقي من المطر في سيارته؛ لأن فصل الخريف كان قد بدأ وكان من الممكن أن تنخفض درجات الحرارة فجأة.

لم يتبادلا أي كلمة خلال الكيلو مترات الأولى من الرحلة. كان "جاريد" مفتقرا إلى كلمات يبدأ بها حديثه، و"لوري" كانت تقود غارقة في أفكارها. كان يرغب في توجيه أكبر عدد من الأسئلة إليها عن "جريج". لكنه كان يخشى الإجابات.

قطعت "لوري" هذا الصمت قائلة:

– كان والدي و"جريج" يعملان معا. كنت أبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما عندما دعاه والدي عندنا للمرة الأولى. وكنت وقتئذ مقتنعة بأنه أجمل رجل في العالم. كنت أقضي أيامي ولياليّ أحلم به على أمل أنه سيلمس ذات يوم أني لست مراهقة بسيطة، إنما فتاة أحلامه.

قاطعها "جاريد":

– أفهم ذلك. كانت أختي أيضا تقع في حب كل الزبائن وكل أصدقاء والدي، ثم تفقد بعد ذلك كل هذه المشاعر.

– نعم. هكذا كان الأمر بالضبط؛ لأنه إن لم يكن والدي قد توفي بعد بلوغي الرابعة عشرة من عمري. لكنت في ذلك الوقت نسيت "جريج" إلى الأبد؛ لأن "جريج" اعتاد التردد على المنزل أكثر فأكثر بعد وفاة والدي. لدرجة أن والدتي كانت تظن أنه يأتي من أجلها. كان يهتم بي، يساعدني على استذكار دروسي، والقيام بعمل واجباتي، ويصطحبني إلى السينما، يرافقني عندما بدأت والدتي في الخروج مع من أصبح زوج أمي.

– وهل "جريج"...؟

– لا... كان يكتفي بتقبيلي، ولم يقترب مني إلا بعد زواجنا. أعتقد أنه كان ينظر إلى علاقتنا نظرة أبوة. ولا أعتقد أنه كان حقا يرغب في؛ إذ كان قد سبق له الزواج من قبل، وكانت زوجته قد توفيت أثناء الوضع؛ لذلك كنت بالنسبة له الابنة التي لم يرها، بل لم يحصل عليها.

– إذن كان يعتبر والدك وأنت ابنته الصغيرة؟

– لا أكثر ولا أقل.

– وبعد الزواج؟ هل كان لكما أطفال؟

صمتت "لوري"...

الفصل الثاني عشر

– ألا ترغبين في الزواج بي؟

حكت "لوري" رأسها علامة على الموافقة.

– لقد لاحظت أنك كنت موشكا يا "جاريد" على إبداء نفس رأي "جريج"، عندما تكلمت عن الحياة.

– ليس من الخطأ أن أنشغل بخصوص أمنك يا "لوري". إني أحبك... وإذا كنت أنا المعرض للخطر؟

– إن هؤلاء الرجال ليسوا مسلحين.

– لكنهم تمكنوا من الهرب.

– إن "الشريف" لن يضعني في موقف خطير. إن كل ما يرغب فيه هو حاسة شم "كابي".

*****

لم يكن "جاريد" مقتنعا بكلامها، لكن ثباتها أقنعه بالعدول عن الاستمرار في مناقشتها.

اقترح في هدوء:

– هل سيمنحوني فرصة معاونتك؟

لم يكن هناك أي اعتراض. واشترك "جاريد" في الفريق مع "كابي" و"روي"، مساعد الشريف. بعد جولة سريعة أرشدوهم إلى المكان الذي كان فيه أحد الصيادين قد ذكر أنه في الصباح الباكر لاحظ شخصين كانا يجيبان على إعلانات الهاربين. وصلوا إلى المكان المشار إليه بعد عشر دقائق. وكانت إدارة السجن قد زودت "لوري" بملابس خاصة بالمسجونين؛ لكي تضعها فترة طويلة أمام أنف "كابي". انطلق الكلب مثل السهم، وكانت الأحاديث مستحيلة أثناء اتباعهم له. غير أن "جاريد" فهم أن "روي" يرى أن هذه المطاردة غير مجدية.

صاح إلى "لوري":

– لم يعثر على شيء. أليس كذلك؟

– لا.

– وهذا ما قلته للشريف. إنهما لم يتمكنا من النزول إلى هنا.

وكان "جاريد" لا يتمنى إلا شيئا واحدا: التواجد على انفراد مع "لوري"؛ لأنه أصبح عاجزا عن التفكير منذ أن أعلنت له أنها لا ترغب في الزواج منه، وبالتالي كان عليه أن يقنعها بأنه مختلف عن "جريج" لكن يا له من عمل!

كانت "لوري" تسير خلف كلبها، غير مبالية بثرثرة الرجال الذين كانوا يتبعونها، وكان "جاريد" معجبا بها. إن هذه الإنسانة الرقيقة كانت تحظى بتقدير الناس لها، بقرارها وقوتها وإرادتها، ومن يستطيع أن يملي عليها إرشاداته؟ لقد عزم "جاريد" على أن يصحح طريقة سلوكه معها، وإلا يكون فيما بعد الشخص الذي يرغب في أن يكون الزوج والسيد للزوجة التي يحبها.

– إنه على الطريق.

انتزعه صوت "لوري" من أفكاره. سألها "روي":

– هل هو مدرب على اللصوص؟

– ليس بالتأكيد. ولقد أخبرت الشريف بذلك.

– إذن استعدي للإمساك به ودعيني أتصرف.

حدث بعد ذلك صوت مكتوم... وإذا بـ"جاريد" يرى الرجل ينهار. صاح:

– انتبهي يا "لوري".

– بل انتبه إلى نفسك.

التفت "جاريد" فجأة وإذا به في مواجهة شخص ضخم يهدده بمسدس. وكان هذا الهارب يدافع عن حريته مثل حيوان مفترس. ثم أشار بسلاحه إلى "جاريد" إلى الجهة التي ينبغي أن يتبعها.

بادره "جاريد" بقوله:

– إذا تعرضت بأي أذى للفتاة.

– اسكت وتقدم.

ثم على بعد عشرة أمتار وجدوا اللص الآخر مهددا "لوري" بمسدسه.

كم كان يحبها، كان في إمكانه القيام بأي عمل لكي يثبت لها هذا.

بعد قليل مر الهارب بيديه على ملابس "جاريد" وأطلق صرخة سرور:

– بالضبط ما كنا نريد سجائر!

بالتأكيد– قبل أن يتخلى عنها– كان "جاريد" قد ملأ جيوبه بالدخان!

– هيه. هل معك كبريت؟ (أعواد ثقاب).

– "لا".

أجاب "جاريد".

– وأنت أيتها الفتاة.

أومأ إليها "جاريد" برأسه، نظر إلى الكلب، ثم إليها، يبدو أنها لم تفهم قصده، إذ كانت منزعجة من المسدس المصوب نحوها.

كرر الرجل:

– معك كبريث؟

– نعم في حقيبتي.

جثت "لوري" على ركبتيها، بحثت في حقيبتها. أما "جاريد" فقد أخذ يدندن:

– التدخين عادة سيئة.

نظرت "لوري" إلى كلبها، إلى المسدس ثم إلى "جاريد". وقف "كابيتين" منتصب الأذنين بلا حراك.

أصدري الأمر، هكذا توسل إليها "جاريد" في همس، إنها اللحظة الحاسمة.

كان يرى أنها تقاوم. ولما كان سيرفض الفكرة، رأى الرجل عائدا مكررا طلبه:

– إذن. يا سيدتي الجميلة، هذا هو الكبريث؟ حينئذ ارتفع صوت "لوري":

– أتعلم أن التدخين عادة سيئة؟

في الحال، في نفس اللحظة كان هجوم مشترك من "جاريد" و"كابي"، قفز الكلب إلى عنق أحد اللصوص لانتزاع السيجارة، بينما سدد الآخر لكمة في ذقن الهارب الآخر يحسده عليها بطل من أبطال الوزن المتوسط.

– انصرفي يا "لوري".

كان أحد اللصين يرزح تحت "جاريد" محاولا التنفس. وعلى مسافة

يسيرة كان "كابي" جالسا منتصرا على صدر الهارب الآخر. وما هي إلا دقائق وإذا بالنجدة تصل إلى المكان.

اصطُحب مساعد الشريف على نقالة بسبب جرح عميق في الرأس، يستحق عليه بالتأكيد وساما وتقدير وإعجاب صديقته الصغيرة. أصبحوا أبطال المغامرة مع "كابي". ولأول مرة لم يشعر "جاريد" بالغيرة إزاء الإعجاب الذي كانت تبعث به "لوري" إلى الناس. بالعكس كان يتطلع إليها وهي تلمع. مكتفيا بما كانت تلقي إليه بغمزات من عينها.

وكانت هي التي اقترحت قيادة السيارة للعودة إلى "نورتون". وهي أيضا التي قطعت الصمت:

– هل تعلم أن الخطر يلحق بي في كل مرة أتوجه فيها مع "كابي" في مهمة؟ إذ من الممكن أن تكون الطبيعة ذاتها سبب هلاك، وليس الرجال فقط.

– نعم. أعلم ذلك

وبهذا شعر بأنه سوف يعاني الخوف كلما طلبت "لوري" لمهمة.

أكملت قائلة:

– كما أنك لا تستطيع الحضور معي في كل الأوقات.

– أعلم.

وضعت الفتاة رأسها على كتفه.

– كنت خائفة من أجلك.

– أنا...

أكملت له الجملة:

– أعلم. أوه "جاريد" ماذا ستعمل؟

– سنتزوج، ويكون لنا أبناء ونعيش سعداء دائما.

– وهل ترغب في السيطرة علي في كل لحظة؟

– امكثي معي.

– نعم. أعلم الآن أن المرء عندما يهرب لا يذهب إلى أي مكان. أترى كيف أني أتيت من "شيكاغو" إلى "نورتون"؛ لكي يلقي بي القدر على رجل يشبه "جريج" وكأنه أخوه.

– لكن عن نفسي أنا لا أعتبرك ابنتي.

– ولا يبدو عليك أنك والدي.

– هل أنت متأكدة؟

– تماما.

– إذن استمعي إلي: توجد مزرعة ليست بعيدة عن مسكن "توم" و"بيكي"، يلزم تجديد المنزل. كما أني أريد حمام سباحة، الأرض فسيحة. من جانبك ستقومين بالتقرب ممن يرغبون في تدريب كلاب الإنقاذ...

– ووالدك الذي لا يرغب في أن تستثمر أموالك في أشياء تعطي... تعطي ماذا؟

– فضلات يا حبي.

– يلزمني كلاب أخرى.

– أرغب في أن يحصل "كابي" على الراحة. أن يحال إلى المعاش. سيصل إلينا غدا كلب صغير من فصيلة جيدة من الولايات المتحدة. ولابد من الاهتمام به.

– "جاريد"! هل قمت بذلك من أجلي؟

وصلا إلى منزلهما. أسرع كل منهما إلى فراشه؛ لأنهما كانا في أشد الحاجة إلى الراحة بعد عناء هذا اليوم المليء بالمجد والحب. أخيرا تمتم "جاريد":

– "لوري"، تزوجيني.

أشرقت الشمس، عندما تحقق "جاريد" من أن "لوري" لم تجبه. قبل جفنيها فارتجفت. استيقظت في لحظة وابتسمت له.

سألها مرة أخرى:

– أترغبين في الزواج بي؟

– نعم.

من خلف الباب نبح "كابيتين" أما "جاريد" فقد علق على ذلك وهو يقهقه:

– أعتقد أنه قال: أخيرا...

تمّت بعون الله